الفصل الثاني

جمال المرأة وزينتها في الشعر

المبحث الأول : معايير الجمال في تلك الفترة.

المبحث الثاني : صور الجمال في الشعر .

الشعر ، الملابس، الحلي، الكحل.

الخال، الخضاب، الطب.

المبحث الأول

معايير الجمال

معايير جمال المرأة :-

الجمالُ منحة إلهية يهبها الله من يشاء. والإنسان بطبيعته ميال إلى الجمال وقد تطورت معاييره بتطوره. فاختلفت مقاييسه وطرقه من زمن، ومن بلد إلى آخر، نظراً لاختلاف الناس واختلاف الحضارات والبيئات والأذواق. قال ابن حزم: (ولقد شاهدتُ كثيراً من الناس. قد وصَفوا أحباباً لهم في بعض صفاتهم بما ليسَ بمستحسَن عند الناس ولا يُرضى في الجمال، فصارتَ هِجِّيراهم عُرَّةً لا هوَائهم ، ومنتهىَ إستحسانهم) [1] والجمالَ نسبي. ما نراه جميلاً قد يَجدُهُ غيرُنا على العكسِ.. ما دام مرجعُهُ إلى الذوق، وهو يتباين بتباينِ درجةِ الحضارةِ، والبيئة. وقال أيضاً (إني أحببتُ في صبايَ جاريةً لي شقراءَ الشَّعرِ فما استحسنتُ في ذلك الوقتِ سوداءَ الشَّعرِ) [2] ويؤكد ذلك قائلاً[3]:[البسيط]

منهم فتًى كان في مَحبوبه وقَصص ... كأنما الغَيْدُ في عَيْنيه جنان

وقْصٌ، فليس بها عنقاء واحدةُ ... وهل تُزان بطول الجيد بُعْران؟

وآخر، كان في مَحبوبه فَوَهٌ ... يقولُ حَسْبيَ في الأفْواه غزْلان

وثالثٌ كان في مَحبوبه قِصَرٌ ... يقول إنَّ ذواتِ الطّولِ غيلان

فتلك نظرة فردية حيثُ نظَر إلى الجمالِ الحسّي بمنظاره الخاص. لكننا نَجدُ معياراً قد يكونُ ثابتاً للجمالِ متعارَفاً عليه عند العرب. وربُما انتَقلَ إلى الأندلسِ بانتقالِ الأمويينَ إليها. (وكذلك انتقلَ معهُ ما نَجدُهُ في الشعرِ الأمويِّ والعباسي من تشبيه النساء بالظباءِ والبقراتِ ومن الفاظٍ تتردَّدُ فيه أمثالُ الكثيبِ والدَعْصِ والبدرِ.

---

(١) طوق الحمامة: ص٦٠. وردت (وعرضة) بالواو والصحيح حذفها.

الهجير : الهجير (بتشديد الجيم المكسورة) ما يولع به الإنسان فيصبح عنده كالدأب والعادة. انظر هامش المصدر السابق.

(٢) طوق الحمامة : ص٦١.

(٣) المصدر نفسه : ص٦٣.

بل نجدُ التعبيراتِ التي كان يلجأ إليها شعراءُ المشرقِ من ارتجاجِ الردفِ وتأوّدِ القَدِ وغير ذلك) [1]. وربما نتوصلُ إلى معاييرِ الجمالِ السائدهِ في عصرِ الطوائفِ من خلالِ أشعارِهم التي جاءت منسجمةً مع مُتطلباتِ عصرِهم وأذواقِهم. فنجدُ الأندلسي أكثرَ تجاوباً من شعراءِ المشرقِ ، مع مشاهدِ الطبيعيةِ لجمالِ بلادِه. فسَرى نَفسُها في عناصرِ وصفِ جمالِ المراةِ، فغَدَتْ لدى الشاعرِ متسمةً بملامحِ المرأةِ، (فوجُهُها قمرٌ) [2] وإشراقهُ وجهِها بدرٌ في بياضِه . يقول[3] أبو محمد بن صاره الشنتريني[4] المتوفي سنة ٥١٧هـ:[الطويل]

أعندكَ أنَّ البدرَبات ضجيعي ... فقضَّيتُ أوطاري بغيرِ شفيعي

ويقول ابن[5] حمد يس واصفاً بياض وجهها مشبهاً إياها بالكافور. [مخلع البسيط]

زارت على الخوفِ من رقيبِ ... كظبيةٍ رُوِّعت بذيبِ
كافورةٌ في بياضِ لونٍ ... ومسكةٌ في ذكيٍّ طيبِ

وفي المعنى نفسه يقول ابن زيدون : [الرمل]

يا أخا البدرِ سناءً وسنا ... حَفِظَ اللهُ زماناً أطلعك

---

(١) الدكتور صلاح الدين المنجد: جمال المرأة عند العرب: ص٤٧ ط بيروت ١٩٥٧.

(٢) ابن دحية : المغرب من أشعار أهل المغرب ص١٤- ١٥ تحقيق إبراهيم الإبياري ط. الأميرية ١٩٥٤.

(٣) الذخيرة : م١ ق٤ ص٣٦٣.

أبو محمد بن صاره البكري الشنتريني ، سكن أشبيلية واحترف الوراقه. وكان شاعراً أديباً ماهراً ولكنه عاثر الجد. إمتدح الولاة والرؤساء توفي سنة ٥١٧.

انظر العماد الأصبهاني : فريدة القصر : جـ٢ ص٢٥٦ (شعراء الأندلس وأدبائها).

(٤) ديوان ابن حمد يس : ص٦.

(٥) ديوان ابن زيدون : ص١٢ تحقيق كامل كيلاني.

لقد أُغرم الشعراء ببياض وجه المرأة وصفاء بشرتها وإشراقها يقول ابن هـارون[1]:
[مخلع البسيط]

يكادُ وَجْهُ الـذي يـراهُ ... يُكسى بياضاً من الضـياءِ
كأنـهُ فيـك بـدرُ تـمٍّ ... يقطعُ في زُرْقَـةِ السّـماءِ

ويقول المستشرق الأسباني أميليو غرسيه غومس:

(أن المثل الأعلى لجمال المرأة الأندلسية المسلمة ، أن تكونَ بيضاءَ ويَتجلـى الوجـهُ الوردَيُّ في جمالِ القَمرِ ومن هنا جاء تشبيهُهُم إياها بالفجر) [2] فمعيارُ جمالِ الوجـهِ الكافورُ والضياءُ، والقمرُ. والبدرُ.. يُستمدُ منه إشراقتُهُ . وقد فَضلوا البيـاض علـى السُمرة وشقُرةَ الشَعرِ على سوادِهِ إلاّ إننا نجد إبن شهيد وصفَ غادةً بيضاءَ ذاتِ شعرٍ أسوَدٍ فاحمٍ . يقول[3]:[الرمل]

رَشَأٌ بِلْ غَادةٌ ممكـورةٌ ... عُمِّمَتْ صُبحاً بِليلٍ أسْوَدَا

ويقول ابن حَزم : (وأما جماعة خلفاء بني مروان – ولا سيما وُلْـدْ الناصـر منهمُ ، فكلُهم مجبولوَن على تفضيل الشُقرةِ. لا يختلفُ في ذلك منهم مختلـفُ. وقـد رأيناهم فما منهم إلاّ أشقرُ ، نزاعاً إلى أُمهاتِهم ، حتى قد صارَ ذلك فيهمُ خِلقةً). [4]

ويقول غرسيه (وإن كنّا نَعرفُ أنَّ بني أُميـة الأندلسـيين كـانوا يُفضـلون الشقراواتِ) [5] وأكثرُهُم تغزلاً بالشُقرِ (المروانُ الطليقَ) [6] يقول[7]:[الرمل]

---

(١) التشبيهات : ص١٣١ قطعة ٢٥١.
(٢) أميليو غرسيا غومس : الشعر الأندلسي ص٩٣ ترجمة د. حسين موسـى –طـ٢ ١٩٥٦ . وانظر المصدر نفسه : ص٨٥ – ٨٦.
(٣) ديوان ابن شهيد : ص٥٠ تحقيق شارل بلا.
(٤) طوق الحمامة : ص٦١ . المكورة : دقيقة المحاسن . عبد الرحمن الناصر : أعظم خلفاء بني أمية بالأندلس. وقد استمرحكمه خمسين سنة من سنة ٣٠٠هـ إلى ٣٥٠ هـ.
(٥) غرسيه غومس: اشعر الأندلسي : ص٨٥ . وانظر الطوق : ص٦٢.
(٦) أنظر طوق الحمامة : ص٦٢.
(٧) الشعر الأندلسي : ص٨٥.

سال لامِ الصدغِ في صفحتِهِ سيلاَن التبرِ وافى الورقا[1]

ويقول ابن [2] زيدون:[البسيط]

رَبيبُ مُلْـكٍ كـأنَّ اللهُ أنشـأهُ بِسكاً وقدَّرَ إنشاء الورى طينـا

أو صاغَهُ وَرِقاً محفاً وتوّجَـهُ من ناصعِ التبر إبداعاً وتحسيناً

فقد كانت الفضّة معياراً للبياض. والذهبُ والشمسُ معيـاراً لشـقرةِ الشّـعرِ ولجماله؛ يُشَبَّهُ بالشمسِ . وما الدنيا بـدون شـمسٍ إلا وجـودٌ نافـه. يقـول ابـن حزم[3]:[الطويل]

يعيبونَها عندي بشقرةِ شَـعرها فقلتُ لهم هذا الذي زانَها عنـدي

يعيّبونَ لون النّورِ والتبرِ ضِـلّةً رأي جهول في الغوايـة ممتـدّ

ولم نجد من بين الشعراءِ من أُعجبَ أو وَصفَ إمرأةً سوداءِ بل على العكـس وجدنا ابن حزم قد ذَمَّ سواد البشرة وعدّه عيباً يقول[4]:[الطويل]

وأبعدُ خَلْقِ الله من كُلِّ حكمةٍ مُفضّلُ جرمٍ فاحمِ اللونِ مُسـوَدّ

به وُصِفتْ ألوانُ أهلِ جهـنَّمٍ ولبْسةُ باكٍ مُثْكلِ الأهل مُحتَـدّ

فالسوادُ لم يكن لوناً مستحباً قَطُّ[5] لكننا نَجدُ أبا الصلتِ يتغزلُ بسوادِ جاريـةٍ أسمُها عزةُ قائلاً[6] [السريع]

وقد أفَدْتِ المسكَ فَخراً بأنْ أصـبَحَ يَحكيـكِ وتَحكينْـه

---

(١) الورقا : الفضة.

(٢) ديوان ابن زيدون : ص٦ كامل الكيلاني.

(٣) طوق الحمامة : ص٦٣.

(٤) المصدر نفسه : والصفحة نفسها.

(٥) جمال المرأة عند العرب : ص٥٨.

(٦) ديوان الحكيم أبي الصلت أمية: ص١٤٧.

لا شَكَ إذْ لونُكمـا واحـدُ إنكما في الأصل مـن طينـهِ

وربما صوّر لنا إبنُ بسام، معاييرَ جمالٍ عند المرأةِ مما جعلها مثالاً للروعـةِ والفتنةِ إن توافرت هذه الصفاتُ لديهاكـ[1] (ظهورِ الكشحِ وجَولانِ الوشحِ، وصمُوتِ القُلْبِ والخَلخالِ) [2] ... وعند وصفهِ لولاّدة قـال (أقبلـتْ بقـدٍ كالقضـيب، وردفٍ كالكثيب، وقد أطبقت نَرجسُ المُقل وبتنَا بليلةٍ نجني أقحوان الثغور . ونقطفُ رمـان الصدور) [3] فيقول ابن زيدون[4]:[الرمل]

يا فتيتَ المسكِ يا شمسَ الضُّـحى يا قضيبَ البانِ، يا ريمَ الفَـلاْ

فاعتدال القوام، وطول القامة. وامتلاؤها مع ضمور الخصر، كل ذلـك كـان من الأسباب التي دعتهم إلى تشبيه القدود. بقضيب البان. والخيزران.

قال إبن حصن[5] الإشبيلي :[الرمل]

ومما يغيظ الخيزرانة أنها بعقدتها فوق الحشا تتمنطقُ

وقد أعجب الشعراء بالممشوقه القد ونالت استحسـانهم، يقـول ابـن حمـد يس[6]:[المتقارب]

وممشـوقةِ القـدّ معشـوقةَ تُعـذّبُ أنفُـسَ عُشّـاقِها
وقدّ يُميـتُ حيـاةَ الغصـونِ فتُـذرى نضـارةَ أدلاقِهـا

---

(١) الذخيرة : م١ ق٢ ص١٤٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الذخيرة : ق١ م١ ص٤٣٠.

(٤) ديوان ابن زيدون : ص٢٧٥. تحقيق كامل كيلاني.

(٥) انظر الذهيرة: م١ ق٢ ص١٧٨.

(٦) ديوان ابن حمد يس: ص٣٢٢.

وقد جاء[1] في التشبيهات وصفٌ لضمورِ البطون وهَيَفُ القدورِ وحسنُ الوجوه يقول:[المنسرح]

أهيفُ مثلُ القضيب مئزرُهُ ... يَلْطمُ ما فوقَهُ من الهَيَفِ
كالبدر وجهاً كالغصنِ مُنعطفاً ... كالدّرِ لفظاً. كالرَّوضةِ الأُنُفِ

وقد تحدث الشعراء عن الخصر، وأطالوا في نعوته، ربما لشيوع الرقص وكثرة الجواري التي يُتَطلب منهن ضمور خصرهنْ فتفنن الشعراء في وصفه بالنحيل، والهضيم والسقيم، والمجدب.. قال عبادة[2] بن ماء السماء المتوفي (٤٢٢هـ) يصف الخصر بالنحول:[الكامل]

ورأيتُ خصرَك يشتكي ما أشتكي ... فضممتُهُ ضمَّ النحيل نحيلاً
فكأنما قُلِبَ الفراقُ تلاقياً ... بالجزع أو حُسِبَ البكا تتويلاً

وقال يوسف [3] بن هارون ناعتاً إياه بالنحولِ والرقةِ:[الرمل]

تَرَكَ الجسمَ يُحاكي خَصْرَهُ ... وهو في رِقّتِه كالمُنفصل

ومثله قول ابن[4] حصن الأشبيلي:[المتقارب]

غُلاميةُ ليسَ في جِسمها ... مكانٌ دقيقٌ سوى خصرِها

---

(١) التشبيهات : ص١٣١ قطعة رقم ٢٥٠. الهيف : ضمور البطن. والروضة الأنف: المحميّة التي لا يرعاها أحد.

* الأبيات لأبي عبد الله محمد به مسعود البجاني، أصله من بجانة وسكن قرطبة فنسب إليها، وكان كثير الشعر. انظر الذخيرة: م١ ق١ ص٥٦٢.

(٢) التشبيهات : ص١٤٢ قطعة رقم ٢٨٦.
عباده بن ماء السماء: أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن عباده مدح الوزير ابن حزم ورثى أبا بكر بن زيدون والد أحمد بن زيدون وهو من فحول الشعراء توفي في مالقة سنة ٤٢٢.

(٣) التشبيهات : ص١٥٩ قطعة ٣٤٠.

(٤) الذخيرة : م١ ق٢ ص١٤٢.

ويقول أبو الصلت أُمية بن عبد العزيز المتوفي سنة ٥٢٩ هـ في جارية أسمها[١] (تجني):[مخلع البسيط]

لله هيفـــاءُ قـــدَّمتُها هيفاءُ كالغصنِ في التثنـــي

والمرأة إذا كانت ممتلئة بين السمينة والنحيفة ، وضـامرة البطن، ونحيلة الخصر وُصِفتْ بالخيزَران. وفيها يقول[٢] ابن حصن الأشبيلي:[الطويل]

ومما يغيظُ الخيزرانة أنها بِعُقدَتها فوقَ الحشَا تتَمَنْطَقُ

ومن معايير جمالهم ثقل الأرداف ولينها، فَشُبهت بالكثُبان مع نحولِ الخصر ونحافته يقول ابن خفاجه[٣]: [الطويل]

من الهَيفِ ، أمّا ردفُه فمنعَّمٌ خَصيبٌ ، وأمّا خَصرُه فجَدِيبُ

وقال آخر في المعنى ذاته[٤]:[المتقارب]

طِوالُ الفروعِ قصارُ الخطا يقالُ الروادفِ هَيفُ الخصور

ويقول الأمير الطليق[٥] في الخصرِ والردف:[الرمل]

رَقَّ منهُ الخصرُ حتى خِلْتَـهُ منْ نُحولٍ شَـفَّهُ قَـدْ عَشِـقا
وكـأنَّ الـردفَ قـد تَيَّمَـهُ فَغَـدا فيـه معنًـىً قلقـا
نـاحلاً جاورَفيـه ناعمـاً كحبيبـيَ ظَـلَّ لـي مُعتنقـاً

---

(١) ديوان الحكيم أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني : ص١٤٩ جمع وتحقيق محمد المرزوقي طبعة دار الكتب الشرقية / الأتحاد العام التونسي سنة ١٩٧٤.

(٢) الذخيرة: م١ق٢ ص١٨٤.

(٣) شعر ابن خفاجة : ص٢١. تحقيق وجمع كرم البستاني.

(٤) ديوان ابن حمد يس: ص٢٦٤.

(٥) الشعر الأندلسي : ص٨٦.

وقد فُضِّلَتْ الأردافُ الضخمةُ الثقيلةُ، الليّةُ، وفيها يقولُ ابن زيدون[1]:[الطويل]

فإني إعتسفْتُ الهولَ، خطْوَكِ مُدْمجٌ

وردفَكِ وجراجٌ، وخصْرك مُخطِفُ

وقد فَضلوا الأطراف البضةِ البيضاءِ والأظافر الدقيقة. وشبهوا الأنامل بالورد لنعومتها ودقتها، أما الساقُ فكنى عنها بصموتِ الخلاخل[2] لا متلائها ، فإذا وُضِعَ الخلخالُ لم يَتحركْ ولم يُسمَعْ لهُ صوتٌ ... وعابوا الساقَ الدقيقةِ غيرِ الممتلئة[3]، وأحبوا الساقَ المكتنزةِ باللَّحمِ.

يقول يوسف بن هارون في جمال الأطرافِ [4]:[السريع]

كأنّما أطرافُهُ فضّةٌ صُيغُ لها أظفارُ عِقيان

كأنما يَستَرُ عن ناظري بنانَهُ وردَاً بسوسان

ونَجدُ الخَد الناعَم الأسيلَ في نُعومتهِ معياراً للجمال فشبه بالوردِ والشقائق وربما فُضِلَ الخد المرتفع يقول ابن حصن الأشبيلي[5]: [البسيط]

وَمُخَدَّدُ الخَدِّ بالأوهامِ ناعمةٌ كأنهُ سَوسنٌ بالوردِ مَلْطُومُ

ويبدو أن اللون المفضل للخد هو اللونُ الأحمر. أما إذا انفعل خجلاً فيكتسب حمرة الياقوت، يقول يوسف بن هارون[6] :[الكامل]

---

(١) ديوان ابن زيدون : ص١٠١ كامل وخليفة.

(٢) الذخيرة : م١ ق٢ ص١٤٧.

(٣) الجمال عندالعرب : ص٧٢.

(٤) التبشيهات : ص١٢٠.

(٥) الذخيرة : م١ ق٢ ص١٨٤.

(٦) التشبيهات : ص١٢٨ القطعة ٢٤٣.

وكأنِ دُرَّ الخدِّ يكسى حُمْـرةَ الياقوتِ من نَظرِ العيونِ إليـهِ
وكأنّ خجلتهُ إذا ما فارقـت وجناتهِ عـادت إلـى شـفتيهِ

وأكثر الشعراء من تَشبيهِ الخدودِ بالفواكهِ كالتفـاحِ يقـول[1] ابـن هـارون: [الخفيف].

وتَنَعَّمْـتُ فـي خُـدودٍ صِـباحٍ زائداتٍ على بيـاضِ الصـباحِ
صارَ فيها الخِيلانُ في الوردِ شِبهاً للغـوالي فـي أحمـرِ التُفـاحِ

وقد شُبِهَتْ ثَمرَةُ النارنج بالخُدود. وقد عقَدَ مشابهةً بين النارنج والغِيـدِ التـي تُلهِبُ القلوب بحمرةِ الخدود يقول إبن[2] سارة المتوفى (٥١٧هـ). [الطويل]

أحُمرٌ على الأغصانِ زادتْ غِضـارةً بهِ أم خدُودٌ أبرَزَتْها الهوادجُ

أما العيونُ فقد كَثُرَ القولُ حولها لما لها من سحرٍ وتأثيرٍ وقد أفرد لهـا ابـن حزم في طوق الحمامة (باب الإشارة بالعين) [3] وأدرك أهمية العين ودورها الفعـال في جمال الحب تعلقاً ومخاطبة، وتواصلاً روحانياً فقال: – (العينُ تنوبُ عن الرُسل، ويُدرَكُ بها المراد) [4] ومن معاييرِ الجمالِ المطلوبةِ في العيـونِ سِـعَتُها وسـحرِها وحَوَرُها ومَرَضُها فقالوا : أعينُ مُرضى ونَظراتٌ سقيمةٌ. ووصـفوها بـالنرجسِ لذبولها وفتورها وشبهوها بعيون الظبي والمها يقول ابن حزم[5]:[الوافر]

سبى قلبي بألحاظٍ مراضٍ وقدّ الغُصن في حُسنِ القَوامِ

---

(١) المصدر نفسه : ص١٢٩ القطعة ٢٤٤ ، شعر الرمادي : ص٦١.
(٢) الدكتور سعد إسماعيل : البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر / ص١٢٧ ط١. القاهرة / ٧٨ عـن مسالك الأبصار : جـ١١ف٢ –لوحة ٣٨٦.
(٣) طوق الحمامة : ص٦٦
(٤) طوق الحمامة: ص٦٧.
(٥) المصدر نفسه: ٩٥

وقال يوسف بن هارون[1]:[الطويل]

وأحورَ وسنانِ الجفونِ كأنمـــا ... به سقَمٌ في لَحظِهِ غيرُ موجِـــعِ
كأنَّ بعينيهِ خضوعاً ومن رمَى ... بالحاظهِ تلكَ الخواضعَ يخْضَعِ

وفي فتور العين ومرضها قوله[2]:[الكامل]

في لَحظِ طرفِكَ عبرةٌ لِسـقامه ... وفعالُـه فعـلُ الحمـامِ المُتلـفِ
فكأنَّهُ خِلٌ بدَا فـي مُرهَـفٍ ... ماض وليسَ بضـائرٍ للمرهـفِ

وكلما كانت العينُ ناعسةً حالمةً سقيمةً . أحدَثَتْ سقَما مقابلاً عنـدَ المُحـب[3] وأكثر ماتواردت خواطر الشعراء على التشبيه بالعيون المراض[4] ، يقـول [5] ابـن خفاجة: [الطويل]

هي الظَّبيُ طرفاً أحوراً وملاحظاً ... مِراضاً وجيداً أتلعاً ونِفارا

وفي سعة العين يقول[6] ابن حمد يس مطابقاً وصفه للمشارقة كعيون البقـرة الوحشية:[المتقارب]

حِسَانٌ تَديرُ بسِحْرِ الهَوى ... عيُون المها في وجُوه البُدور

أما عيون الغزال فكانت مِعياراً لطيفاً للجمال في حَوَرها وتكحلها. وفي وسن الطَّرف يقول ابن زيدون[7]: [البسيط]

غرِيزَةُ – لم تُفارقها تَمائمها ... تَسبي العقولَ بِساجى الطَّرفِ وسنانِ

---

(١) التشبيهات : ص١٣٣ قطعة ٢٥٨
(٢) المصدر نفسه : ص١٣٢ قطعة ٢٥٤.
(٣) الجمال عند العرب : ص٤٧.
(٤) الذخيرة : م٢ ق٣ ص٦٠٥.
(٥) ديوان ابن خفاجة : ص٢٢٣.
(٦) ديوان ابن حمد يس: ص٢٦٤.
(٧) ديوان ابن زيدون: ص٢٦٧ – كامل كيلاني. الغريرة: ساذجة ، انظر المصدر نفسه: ص١٩٢ تحقيق علي عبد العظيم .

وشبّه الحكيم أُميّه تأثير العيون بالمُحب بتأثير المُدام بالألباب[1]:[الرمل]

رَشَـأٌ تَفْعَـلُ عَيْنَـاهُ بِنَـا ... مِثْلَما تَفْعَـلُ باللّـبِ المُـدامْ
شابَهَت وجنتُه من صُبغِها ... حمرةً في كبدى منها ضِـرامْ
ورمى قلبي فـادمى خـدَّه ... أترَاه انعكست فيـه السـهامْ

ويقول ابن حمد يس[2]:[الرمل]

ظبيةٌ في العقدِ إمَّا التفتتْ ... ومهاةٌ حين ترنو في النقاب

وتغزل ابـن الحـداد الـوادي آشـي بفتـور العيـون وسـعتها وجمالهـا قائلاً[3]:[الكامل].

عُج بالحمى حيثُ الغياضُ العـينُ ... فعسى تَعُنَّ لنـا مهـاةُ العـينُ[4]
توريـدُ خـدّك للصّـبابة مَـوردٌ ... وفتـورُ طرفـكِ للنفـوسِ فُتُـونُ

وفي فتورها يقول ابن حمد يس[5]:[المتقارب]

بعينٍ إذا سَحرت بالفتُور ... بدا للمها بَعضُ أحداقها

وقد شُبهت لحاظُ العيونِ بالصوَارمِ، والسيوفِ القاطعةِ. بل هي أمضى منهـا. فان دَخلتْ قَتَلتْ ولَمْ تخرج[6] . ويقال إن العيون الزرق والخضر من معايير الجمـال

---

(١) ديوان الحكيم : ص١٤٥.
(٢) ديوان ابن حمد يس : ص٦٢.
(٣) الدكتور عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي جـ٤ ص٦٥٧.
(٤) عاج بالمكان : أقام. الغيضة المكان يكثر فيه الشجر ويلتف. العـين (جمـع عينـه: الجميلـة المنظر، الفائقة على غيرها) المها: الظباء (النساء الجميلات) العين جمع عيناء (بفتح العـين) المرأة الواسعة العينين.
(٥) ديوان ابن حمد يس : ص٣٣٢.
(٦) المقري : أزهار الرياض: جـ١ ص٣٠٨.

الدخيل أو المطعم وتكون عند الشقراوات على الأغلب[1]. وقد تغزلوا بالعيون النرجسية قال ابن عمار[2]:[الوافر]

رشأٌ يَرنُو بِنَرجسةٍ[3] ويعطُو بُسوسانٍ ويبسُم عن أقاحِ

ويقول المستشرق الفرنسي هنري بيْريس: (لقد ظَهَرتْ في إسبانيا الإسلامية نظرية أخرى ترى في الحبِّ قوةً سحريةً تُمارسُ خُصوصاً بوساطةِ النَظر. فهنالك سائلٌ لا يُرى، يُولَدُ من الفكرِ (سحر النها) ويَمُر بوساطةِ العينين، وإذا لم يَتكلَمْ الشعراء عن هذا الموضوع كثيراً فإنهم يَخشَونَ هذهِ القوةَ.) [4] ويبدو أنهم لم يخشوا تلك القوة لكَثْرةِ وصفهم للعيونِ وتأثيرها، ورَاحوا يتَغزلُونَ بألوانها كوصفِ الرّمادي[5] للعيون الخُضر:[المنسرح]

كأنّ أجفانَهُ جفونُ الذي أهواهُ لا تستطيع أن تَسْهَر
كأنها كؤوسُ فضةٍ فُرشَتْ قِيعانُها بالزُمردِ الأخضَرْ

ومثله قوله [6] في خضرة العيون النرجسية:[الطويل]

دَمٌ قَدْ حَكاهُ الوردُ في اللّونِ سائلاً عُروقٌ حَكَتهَا خُضرَةُ عين نرجَسِ

---

(١) جمال المرأة عند العرب: ص٦٣ – ٦٤.

(٢) ديوان ابن عمار : ص٢٥٢ وانظر قلائد العقيان: ص٨٤.

(٣) النرجس : نبت من الرياحين له زهر أصفر. انظر ديوان ابن عمار: ص٧٧ جمع وتحقيق صلاح خالص ١٩٥٣ – باريس بخط يده. انظر الديوان : ص٦٩عن رسالة الدكتوراة لغة الشعر في القرنيين الثاني والثالث ص١٤١ رسالة تقدم بها جمال العبيدى/ ١٩٨٢. على الآلة الكاتبة.

(٤) هنري بيريس: الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر : ص٤١٠ –٤١١ – منشورات معهد الدراسات الشرقية – كلية الآداب بالجزائر.

(٥) شعر الرمادي : ص٦٨ – عن البديع :١٤٢.

(٦) شعر الرمادي ص٧٨.

ويصف ابن اللّبانة العيون النرجسية قائلاً:[الطويل]

وَسنانُ وردِ جماله في خده غضٌ ونَرجسَ مقلتيه ذابلُ[1]

أما النَّهدُ : فقد شُبهَ بالرّمان لاستدارته وصَلابته، قال : ابن عبد ربه (لا يُحَسن نَحرُ المرأةِ حتى يَعْظمُ ثَدياها) [2] فأعزفوا عن النهود الضخمة واستحسنوا النهود الكواعب ويظهران تأثير النهود في قتل المحبين كتأثير العيون قال[3] ابن البَيِنْ البَطْليوسيّ المتوفى (٤٩٠هـ): [الكامل]

لم يكفِ أن سلبوا الأسنَّةَ والظُبى حتى استعانوا أعيُنا ونهودا

ومما جاء التشبيه مقلوباً في النهود الكواعب قول إبن سارة[4]:[الكامل]

هذي البسيطةُ كاعبٌ[5] أبرادُها حُلَلُ الربيعِ وحلْيُها الأزهارُ

وقد استعار يوسف بن[6] هارون الرمان، للنهد ايضاً قوله:[الطويل]

تَعانَقَ في الأضلاعِ قَلبي وقَلْبُها وقامَ لنا وحيُ العيونِ بأذرع
وضَمَّت على رمّانتيها كأنما تُعانقني كَفا أسيرٍ مُكَنَّعِ[7]

وقال الرمادي[8] في تشبيهِ نُهود الكواعبِ بالتُفاحِ وتَحديدِ حجمها... وهي التي لا كبر فيها ولا ارتخاء. [الطويل]

---

(١) شعر ابن اللّبانة الداني : ص٨١
(٢) العقد الفريد : جـ٦ ص١٠٧.
(٣) تاريخ الأدب العربي : ـ٤ ص٧٣٥.
(٤) السنان: الرمح. الظبة (بضم ففتح) : حد السيف.
(٥) المغرب : جـ١ ص٣٧٠.
(٦) الكاعب : الفتاة في أول صباها . البُرد بالضم الثوب من حرير. (الحُلي بالضم): الثوب النفيس.
(٧) التشبيهات: ص١٤٤ قطعة ٢٩٢. المكنع: الذي قيد بالأغلال.
(٨) شعر الرمادي : ص٥٤. وانظر التشبيهات: ص١٣٦ قطعة ٢٦٨ وانظر القطعة ٢٧٠ : ص١٣٧.

ليالي يمينى تَقْبِضُ الكأسَ مـرةً وأُخرى لها قَبْضُ على نَهدٍ كاعـبِ
نهـود كتفـاحِ اللّجـين كأنهـا لتدويرها قد أُغرقت فـي قوالـبِ

أما الجيدُ فكان هو الآخر موطناً للجمالِ والإغراءِ. وفضّلتْ المرأةُ الغيـداء. ومعاييرهم في طُولِ الرقبهِ ولطَافةِ الأسنانِ وبياضها وجمالِ المَبْسَمِ وصـغرِ الثَغْـرِ ربما ورثوها من المشارِقَةِ في تشبيهاتهم لها يقول ابن حصن الأشبيلي[1] كناية عـن طولِ الرَقبةِ. وقد رأوا أن الأقراطَ الطويلة تَحلو في العُنقِ الطويلِ وهو ذوقٌ سَـليم. [الطويل]

بَعيدَةُ مهوى القُرطِ مُصمَتَهُ البرى لطيفةُ طيِّ الكشحِ ريَّا المُـدَمْلَجِ
تضعضعُ على العنّابِ بالبردِ الشهي وتَمْسَحُ ماء الطلِّ فوقَ البَنفسَجِ
جَلَتْ بعقيـقٍ جَـوْهراً فتَبسَّـمتْ وذُبّت عن الوردِ الندىّ بصَولَجِ

وقد أعجبوا بالمبسم الذي ينم عن أسنان بيضاء لؤلؤ كـالبرق. وقـد شـبهت الثغور بالأقحوان[2] قال إبن[3] حمد يس:[مخلع البسيط]

من ثَغْبِ باردٍ حصاهُ منظمِ اللؤلؤ الشنيبِ[4]

وقد شُبهت الشفَةُ بالعقيقِ والأسنانُ بالدُرِ يقول الرمادى[5]: [المديد]

وعلى الأشْنَبِ بَابَا عَقيقٍ يَحفَظانِ الدُرَ بأنْ لا يُضَيَّعْ

ويبدو أنهم قد فَضّلوا الثُغورَ (وهي ما يظهر من الأسنان)، فينبغي أن تكـون فَلَجاً[6] وقد قيل في فَلَجِ الأسنان وتَحْبِيْبِها[7]: [البسيط]

---

(١) الذخيرة :م١ ق٢ ص١٨٠.
(٢) المصدر نفسه: م١ ق١ ص٤٣٠.
(٣) ديوان ابن حمد يس : ص٦.
(٤) الشنب: الريق البارد، والأسنان البيضاء.
(٥) شعر الرمادى : ص٨٠.
(٦) جمال المرأة عند العرب ص٦٦.
(٧) التشبيهات: ص١٣٤ قطعة ٢٦٠.

يا حَبَّذا الفَلَجُ المعسولُ ريقَتُهُ وكلُّ حرف به من لفظه خَطَرا

ثغرٌ كحُقَّ به الدرُّ النفيسُ غدا ملآن منه فمنظوماً ومُنتثرا

ويقول ابن حمد يس[1] في تشبيه الثغر بالأقحوان:[الرمل]

فالقوام الغصن. والردف النقا والأقاح الثغر، والطل الرضاب

ولكننا نجد من بين الشعراء من فضل الرونق وماء الصبا والشباب على هذه المقاييس يقول أبو عبد الله بن قاضي ميلَة[2]:[الرمل]

قُلتُ للحسناء لما أبصَرَتْ دمعَ عيني قد جرَى فيما جَرى

جَالَ في خَديكِ من ماءِ الصِّبا رونقٌ يسْبي سناهُ البَشَرا

تأخُذُ الأجفانُ منه ريَّها فإذا جازَ التّباهي قطرا

وجملةُ القول إن الشاعر جَعلَ للمرأةِ في عَصرِ الطوائف مقياساً معيناً للجمال المادي فالمفضلة عنده هي الطويلةُ القَد. الممشوقةُ[3] الخيزرانةُ[4]. البيضاءُ الوجه[5]. الحمراءُ[6] الخد. إقحوانيةُ[7] الثَّغرِ . لمياءُ الشَفَه[8] مُفَلّجةُ الاسنانِ[9] . الحَوراء[10] .

---

(١) ديوان ابن حمد يس : ص٦٢.

(٢) ابن دحيه : المطرب من أشعار أهل المغرب: ص٤٨. وأبوُ عبدُ الله من أفاضل الشعراء. وأحد شعراء المائه الخامسة المغروفين بالإجادة والموصوفين بالإحسان. وميلَة التي نسب إليها، هي بالكسر مدينة صغيرة بأقصى افريقية

(٣) ديوان ابن حمد يس : ص٣٢٢.

(٤) الذخيرة : م١ ق٢ ص١٧٨، شعر ابن حصن الأشبيلي.

(٥) ديوان ابن زيدون : ص٦.

(٦) التشبيهات : ص١٢٨ القطعة ٢٤٣.

(٧) ديوان ابن حمد يس : ص٦٢.

(٨) التشبيهات : ص١٣٣ قطعة ٢٥٨.

(٩) التشبيهات : ص١٣٤ قطعة ٢٦٠.

(١٠) المصدر نفسه : ص١٣٣ قطعة ٢٥٨.

النرجسيّة العين[1] . الجيداء[2] الغريرة[3] . الكاعب[4] . الضامرة[5] الخصر. الكثيبة[6] الأرداف. الناعمة الملمس البضة الجَسَد. وهذه المعايير المادية ربما جُمعت في قطعة للحكيم أُميّة متغزلاً بالجواري قائلاً[7]: [المنسرح]

قامت تُديرُ المُدامَ كفّاهَا ... شَمسٌ يَنيرُ الدُجى مُحياها
إن أقبلتْ فالقضيبُ قامتُها ... أو أدبرَتْ فالكثيب ردفاها
للمسكِ ما فاحَ من مَراشفها ... والبرقُ مالاحَ من ثناياها
غزالةٌ أخجلَتْ سميتَها ... فَلَمْ تُشبه بها وَحاشاها
هَبْكَ لها حُسْنها وبَهجَتها ... فهلْ لها خَدُها وعَيناها؟

ويُعللُ المستشرق الأسباني أميليو غرسيه غومس إعجابَ الشُعراءِ الأندلسيين المفرطِ بالجمالِ البدني المحسوس بقوله (ربما كانَ ذلكَ من الخصائصَ المميزةِ للعقليةِ العربيةِ ورثته يفا، ورثَتْ من مشاعرَ البدو وميولهم، شَأنهُ في ذلك شَأنَ الحب العذري الذي إنحدر من البدو إلى الأجيال المتواليةِ عن طريقِ العَربَ المسلمين) [8] ولكننا نرى هذه المعايير التي أُفتتن بها ، قد تكون فعلاً متوافرة عند المرأة الأندلسية. فالأندلسي لم يصف إمرأة من الخيال ولم يذكر أسماء وهمية كما كان يفعل البدوي بل أعجب بإمرأة جالسها والتقى بها. ولو لم تكن حاملة لهذه الأوصاف لما نعتها بها لأنه خاطب إمرأة ذات أُذن صاغية لندائه مستسيغة لشعره.ز فلا يمكن أن يصفها بنعوت

---

(١) قلائد العقيان : ص٩٥.
(٢) الذخيرة : م١ ق٢ ص١٨٠.
(٣) ديوان ابن زيدون: ص٢٦٧.
(٤) المغرب : جـ١ ص٣٧٠.
(٥) ديوان ابن حمد يس : ٢٦٤.
(٦) المصدرنفسه : ص٦٢.
(٧) ديوان أمية بن أبي الصلت: ص١٥٧.
(٨) الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه : ص٨٧.

بعيدة عنها. نقول إن هذه المعايير متشابهة وليست متوارثة وإن اختلفت بعض الشيء حيث أن البدوي فضل المرأة المكتنزة اللحم. ذات العكن[1] . في حين أعجب الأندلسي بالنساء الضامرات البطون. وأعجب بالشقراء البيضاء بينما البدوي أعجب بالسمراء.

نستطيع أن نخضع معيار الجمال للعامل الوراثي، ولكن لا يمكن أن نخضع الإعجاب به، إلى الوراثه قطعاً. فمثلاً لو كان والدك قد أعجب أثناء شبابه بإمرأة طويلة القامة أو زرقاء العيون فهل ينتقل هذا الإعجاب لك وراثياً فتقع في غرام إمرأة تحمل هذه المقاييس! !؟ بالطبع كلا.

وذكرنا في بدء هذا المبحث نسبية الجمال واتفقنا مع ما ذهب إليه ابن حزم الأندلسي في خضوعه لتباين الأذواق...

يقول غرسيه غومس (فلم يعد المحبون منهم يستشعرون من جمالها إلاّ الحسّ الملموس أي الصورة البدنية، فاندفعوا في الإعجاب بها اندفاعاً عنيفًا لا يرد)[2]. لكننا وجدنا الشاعر في فترة الطوائف قد اعجب بجمال المرأة الروحي وافتتن به كعشقه لجمالها المادي. فامتزجت المعايير الحسّية الغريزية مع المعايير الروحانية الأفلاطونية العذرية.

فَبَعضُهم سُحِرَ بكلامها وحيدَيثُها فأثارتْ في نفسهِ الحبَّ الروحي لسرعة بديهتها كـ(اعتماد الرميكيّة) ومثلما كانَ القدُّ، والنهدُ والخصرَ والردفُ كان العقلُ والذكاءُ والخفَّةُ والدهاءُ. وربما كان هذه تَخْرجَ عن رَوحِ المرأةِ فتؤثر في روح الرجل. ولم يعد الجَسَدُ هو هَدفُه كما كان عند الشاعر المشرقي. فالرجل الأندلسي كان على مستوى رفيع من الثقافة بحيث لم يكتف بالجسد وجماله بل طلب ما هو أسمى منه وهو الجمال المعنوي. فنجد ابن زيدون تغزل بجمال صاحبته المادي.

---

(١) العكن: العكن والأعطان: الأطواء في البطن من السمن (اللسان/ عكن)

(٢) الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه : ص٨٧.

ولكنه أعجب بنظمها وحلاوة روحها وحسن معاشرتها، وقيلَ عن ولاّدة (وقد تهالك الكتاب على حلاوة عشرتها) [1] . وأما ابن زيدون فقد قال: [2] [الرمل]

يا غزالاً جُمّعت فيه ... من الحُسن فنونُ
أنت في القربِ وفي البُعدِ ... من النفسِ مكينُ

ربّما قصد بهذه الفنون، جمال العشرة التي تتمثل بجمال الروح وحسن الحديث، وقد أشار الشعراء إلى هذه المعايير الجمالية، ومنهم الشاعر ابن اللّبانة[3] [الكامل]

وتكلمت فكأن طيبَ حديثها ... مُتِعتَ منه بطيب مسكٍ أذفرِ
هزت بنغمةِ لفظِها نفسي كما ... هزتْ بذكراه أعالي المنبرِ

ومثله قول ابن حصن الأشبيلي[4]:[الطويل]

حديثاً كعرف العنبرِ الورد بيننا ... مع المسكِ مفتوقاً يُذَرُّ ويسحقُ

ومنهم من أعجب بقولها للنثر ونظمها للشعر كابن حسن الأشبيلي[5]:[البسيط]

يُهدي لك الدرّ من لفظٍ ومبتسمٍ ... ضربان مُنتَثِرٌ منه ومنظوم

وقد أعجب ابن حمد يس برخامة المنطق.وحلاوته. وحسن الحديث. وفي ذلك يقول[6]: [الخفيف]

ذاتُ لَفظٍ تَجْني بسَمْعِكَ منهُ ... زَهَراً في الرياضِ نداهُ طلُّ
لا يملّ الحديثُ عنها معاداً ... كانتشاقِ الهواءِ ليسَ يُمَلُّ

---

(١) الذخيرة : م١ ق١ ص٣٧٦.
(٢) ديوان ابن زيدون : ص٢٢١ . تحقيق نديم مرعشلي
(٣) شعر ابن اللبانة : ص٥٣.
(٤) الذخيرة : م١ ق٢ ص١٧٨.
(٥) المصدر نفسه: م١ ق٢ ص١٨٤.
(٦) ديوان ابن حمد يس : ص٣٥٣.

وقد أشرنا إلى ما يتطلب من الجواري في مبحث سابق ورأينا أن أوصافهن الروحية، هي السرعةُ في الحركةِ ، والخفةُ في الروح. وحسنُ المُجالسةِ. ورقةُ الطبعِ ورهافةُ الحسّ. والدَلُّ. والغَنَج. وسحرُ الحديثِ. وحلاوةُ الغناءِ. وجمالُ الصوتِ علاوةً على المظاهرَ الجسمية.

وقد رُوي أن (ريحانةَ) [1] التي إشتراها هذيل بنُ خَلَفُ بن رزين المتوفى سنة (٤٣٦هـ) بثلاثة آلاف دينار قد إتصفت بأوصاف ساعدت على شرائها بهذا المبلغ، منها الرّقة ، وخفّة الروحِ . وعذُوبة الغناء، وحضورُ البديهةِ.

وفي معايير الجمال الحركي وقصر الخطوات يقول ابن الحداد الوادي، آشي[2] (ت ٤٨٠ هـ). [الكامل]

أقبلْنَ في الحَبراتِ يقصرنَ الخطا ... ويُرينَ في حُلَلِ الوراشينَ القَطَا
ماأخجل البدرَ المنيرَ إذا مشى ... يختال والخوط النضيرَ إذا خطا

ومن مقاييس الجمال، التَهادي في المشي يقول ابن حزم[3]:[البسيط]

كأنما مَشيها مَشي الحمامةِ لا ... كدٌّ يُعالُ ولا بِطءٌ ، به باسُ

وقال عبادة[4] في اعتداد المرأة بنفسها وجمال مشيها:[الخفيف]

كلما مِستِ في الرداءِ تَوارَتْ ... بقناعِ غَزالةِ الأبراجِ
أوْ تَمشّتْ بحاسرِ الرأسِ أو في ... مِلَكٍ للملاحِ من غيرِ تاجِ

ويقول المستشرق الفرنسي هنري بيريس (تحتل المرأة والحب مكاناً كبيراً في الشعر الأندلسي ، فعندما يصف الشاعر موضوع الطبيعة تظهر المرأة وكأنها

---

(١) الحلل السندسية في الآثار المراكشية: شكيب أرسلان جـ٢ ص١٠١
(٢) الذخيرة : م٢ ق١ص٧١١ ، والإحاطة : جـ٢ ص٣٧.
(٣) طوق الحمامة: ص١٢.
(٤) التشبيهات : ص١٢٢ . القطعة : ٢٣٠.

مرتبطة ارتباطاً كبيراً بجمال الحدائق والأنهار.. وتذكرنا الأوراد والأحجار الكريمة بالقيام بمقارنة مع الفَمِ والخَدِ والعين ومجوهرات المرأة. كما أنّ للألوانِ علاقَةً وثيقةً بالمرأة وخصوصاً باللونين الأحمر والأصفر فاللون الأصفر يرمز إلى العاشق الشاحب الذي يعيش في حالة شك وأرق ويرمز اللون الأحمر إلى فتاة عذراء تحب أن تعذب حبيبها) [1] .. إن الشاعرَ الأندلسي جَعَلَ الطبيعةَ تُحاكي معايير الجمال عند المرأة كما جعل الفضل للمحكي لا للحاكي. فصَوَّر جمالها أروع تصوير مما يَدُلُّ على أنه كان مؤمناً كلَّ الإيمان بها. وقد أخرجها بهذه الصورة وعبر أنفاس الحب ونسائم الحبيب.

ولقد توافرت في المرأة الأندلسية أمثلة رائعة للجمال المادي والجمال الروحي وربما عدت مقاييس خالدة للجمال على مر العصور.

---

(١) انظر : الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص٣٩٧.

المبحث الثاني

زينة المرأة في الشعر

١ – الشَّعر.

٢ – الملابس.

٣ – الحلي.

٤ – الكحل.

٥ – الخال.

٦ – الخضاب.

٧ – الطيب.

زينة المرأة :-

لقد حرصت المرأة منذُ أقدمِ العُصورِ على ارتفاع مستوى جمالِها بتَجمّلها وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: (إني لأُحِبُّ أن أتزينَ للمرأة كما أحب أن تتزين لي)[1].. وللزينةِ دوافعُها. ولما كانت مقاييس الجمال لا تتوافر مجتمعة إلا في القليل من النساء، لذا استعانت المرأة بوسائل الزينة المختلفة[2] .. ومنهم من علّل ذلك (ارضاءَ لرغبةِ الشُعراءِ. يقول ربما كان للشعرِ في الغَزل والتشبيب حافزٌ كبيرٌ في دفعَ المرأةِ إلى التَزَيُّنِ أيضاً[3] ، ويرى الآخر أن (ليس لهن من العمل العام ما يشغل فراغهن، فماذا يستطعن أن يعملن؟ إن لم يخصصن أوقاتهن للزينة والملبس) [4].

ولكننا نرى أن حياة التَرف والبذخ الذي وصل أوجه في ذلك العصر، عصر الانغماس في الملذات. قدانعكس على مظهرِ المرأة وأناقتها في ملابسها وتسريحة شعرها. واستعمال الخضاب. والتكحل والتعطر والتطيب. ولبس الحلي. وما عرفته عن النسوة العربيات زيد بفعل احتكاكها بالمرأة بالأجنبية.. ثم أنها أرادت أن تحقق طموحها في مجاراة المقاييس الجمالية التي تنسجم وذوق المجتمع بشكل عام لأنها فعلاً كانت طموحة عريضة الآمال. ولا ننسى أنها أصبحت نِدًّا للرجل. ولما كان الرجل يحب في المرأة جمالها، أرادت أن ترضي غروره لتفوز بقلبه (وقيمها تدل بوضوح على أن المرأة تابعة للرجل) [5].

وقد تفننت المرأة في زينتها فظهرت أكثر أناقة من إختها المشرقية.. كما أنها لم تقتصر على الزّينة المنظورة بل تفننت في الزينة المسموعة التي نهاها الله عز

---

(١) صيد الخاطر: جـ١ ص١٣٥.

(٢) التزييق والحلي عند المرأة في العصر العباسي: ص٦.

(٣) المرأة العربية : جـ١ ص١٤٧.

(٤) أحمد خاكي : المرأة في مختلف العصور ص٢٧ – ٢٩.

(٥) سلمى الحفار: في ظلال الأندلس ص١٢٥.

وجل عنها[1] . وهي (أن لاتضرب المرأة برجلها إذا مَشت لتسمع صوت خلخالها)[2].

ولقد صورت لنا أشعارهم زينتها بطريقة سلبت العقول وخلبت الألباب.

(١) الشَّعْر :

لقد إهتمّ العربُ كثيراً بالشَّعر وأحبوهُ في المرأة[3] . فرووا عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الشَّعْرُ الحسَن كسوةُ الله فأكرموه) [4]. لذا نجد المرأة اهتمت بتمشيطهِ وتسريحهِ وظفرهِ وصبغهِ وتخضيبهِ وتزيينه بالأمشاطِ والأحجارِ الكريمةِ والتيجانِ المرصعةِ بالجواهر فأحرى بهن أن يتفنن ويبتكرن الأشكال الجميلة في تصفيفه وتسريحه[5] ، وربما أثرَ زرياب[6] بتسريحته فيهن أكثر من تأثير فنه. ولقد ذكر صاحب نفح الطيب دخوله الأندلس وكان (جميع من فيها من رجلٍ أو أمرأةٍ يَرسُلُ جمتَه مفروقاً وسَطَ الجبينِ عاماً للصدغينِ والحاجبين. فلما عاينَ ذوو التحصيل تحنيُقَه هو وولده ونسائه لشعورهم وتَقصيرها دُون جباههم وتَسْويتها مع حَواجبِهم وتَدْويرها إلى آذانهم، وإسدالها إلى أصداغهم حسيماً عليهِ اليوم الخدَم والجوارى هوت إليه أفئدتهم واستحسنوها[7].

---

(١) انظر سور النور، آية رقم (٣١)

(٢) القرطبي : الجمع لاحكام القرآن : جـ٦ ص٤٦٢٩. طـز دار الشعب – القاهرة.

(٣) جمال المرأة عند العرب : ص٤٩

(٤) بهجة المجالس وأنس المجالس : جـ٢ ص٦١.

(٥) الدكتورة بتول العلاف: عناية المرأة بشعرها عبر العصور. بحث نشر في مجلة الأديبة العدد الثاني ص٩٣ – ٩٨ – ٩٩ سنة ٦٩. دار الجمهورية

(٦) النفح : جـ١ ص٣٢٢.
قدم زرياب (واسمه على بن نافع) إلى الأندلس سنة ست ومائتين من العراق وهو مولى المهدي ومتعلم إبراهيم الموصلي. وهو مغني مشهور. انظر ترجمته في التمهيد.

(٧) النفح: جـ٤ م٢ ص١٢٣ – ١٢٤.

ومن خلال الأشعار التي قيلت في المرأة وجدناها قد تأثرت إلى حد بعيد بتصفيف شعرها بتسريحات ذلك القرن بتدويرها إلى (آذانهن وارسالها[1] على أصداغهن) .. وبلغ من اعتنائها به أنها غسلته بماء الورد وضمخته بالطيب والعطور. ويظهر أن الشعر الجميل لفت أنظار الملوك والوزراء والشعراء حتى ولو كان شعراً لجارية من جواريهم . فقيل إن جارية من جواري المعتمد بن عباد (ت سنة ٤٨٨هـ) قد مشت بين يديه يوماً وكان (لها ذوائب تخفي أبَاة الشمس في مدلهمها فَسكبَ عليها أناء ماء ورد فامتزج الكلُّ ليناً واسترسالاً، وتشابه طيباً وجمالاً) [2] وفيه قال النُحلّي:[الكامل]

يَندي بماءِ الوَردِ مُسبَلُ شَعرِها ... كالطَلِّ يَسقُطُ من جناحِ الطائِرِ
تزهى بِروَنقِها وعِزِّ جمالِها ... زَهْوَ المؤيدِ بالثناءِ العاطرِ

ولم يقتصر غسل الشعر على ماء الورد. بل تفننت المرأة بتعطيره بالطيب. وأكثرت من استعمال المسك الثمين في تطييبه وفي ذلك يقول ابن حمد يس[3]: [الوافر]

وذاتِ ذوائبٍ بالمسكِ ذابتْ ... بَلغتُ بها المنى وَحيّ التمني

ومِثْلُه قَولُهُ[4] في المُبالغةِ في استعمالِ المسكِ وطولُ الشَّعر وَعقرِيَتُهُ:[الطويل]

وساحبةٍ لَيْلاً من الشَّعر الجَثْلِ ... لها مَثَلٌ في الحُسنِ جَلَّ من المثلِ
تَمُجُّ فتيتَ المسكِ منه أساوِدٌ ... معقربةٌ إذ نابُهنّ على النعلِ

---

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده: ص٨٤. وانظر التزييق والحلي: ص٧٦.
(٢) الذخيرة : م٢ ق٢ ص٨٠٩.
النُحليّ : شاعر من شعراء المعتمد بن عباد عاش ضمن فترة القرن الخامس الهجري.
(٣) ديوان ابن حمد يس : ص٤٨٩ . وانظر الغرض نفسه في النفح : جـ٤ م٢ ص١١٢.
(٤) المصدرنفسه: ص٣٥٠.

ومن مظاهرَ رعايتها لشَعرها واهتمامها به، جعلتهُ مفْرَطًا في طولهِ فقد جاوزَ ردفَها ووصلَ إلى أخمصِ قَديمها وفيه يقول الشاعر[1]:

فتحسبُ منها الرِّجلَ[2] جاذبَ أخمصاً فليسَ بمعقودٍ ولا بِمُسَرّحِ

ربما كانت هذه الظاهرة عند الجواري لجذب الأنظار إليهن يقول[3]: [الطويل]

وبي كلّ غيداءِ القوام كأنما يُطاول منها قُدّها شَعراً جثلاً

وقد أفرط الشعراء في تشبيه الشعر الأسود بالليل والدجى[4] ، وربما شبهوه بالغسق، يقول التطيلي[5]:[البسيط]

تُوِّجَتْ بالدُجى فالشَعرُ من غَسَقٍ والخَدُّ من شَفَقٍ والثغرُ من فَلَقِ

ومثله قول[6] ابن الحنّاط القرطبي المتوفي (٤٣٧هـ) في إمرأة بيضاء ذاتَ شعرٍ أسودٍ فاحمٍ:[مخلع البسيط]

شمسٌ ولكنمّا فرعها ليلٌ على صُبْحِها فاحم

ورُبما كانَ الشعرُ الأسود علامةً فارقةً للحرائرِ، تُميِّزها عن السبايا من الإفرنج. يقول أبو مروان بن غصن الحجاري[7] المتوفي (٤٥٤هـ):[الكامل]

لَولا خَفارَتُها وَحالِكُ شَعرِها قُلنا سَبَايا من بناتِ الأَصْغَرِ

أما الرّماديُّ فيستَنْبِطْ من إجتماعِ الضدينِ جمالاً بقولهِ[8]: [الطويل]

---

(١) ديوان ابن حمد يس: ص٧.
(٢) الرجل : أي شعرها المسترسل جاذبَ أخمص قَدَمها من طُوله.
(٣) ديوان ابن حمد يس : ص٣٧٦. وانظر المصدر نَفسه: ص٣٦.
(٤) انظر التشبيهات: ص١٢٢ القطعة ٢٢٩. وص ١٢٥ القطعة -٢٣٤. وص ١٢٧ – القطعة ٢٣٩. وص١٢٨ قطعة ٢٤٢. ديوان ابن خفاجة: ص١١٢ وديوان ابن حمد يس : ص٢٩٨ و ٣٥٠. الذخيرة : م١ ق٤ ص١٠٢ . والنفح: جـ٤ م٢ ص١٩٠.
(٥) ديوان التطيلي / ص٧٨. وانظر النفح : جـ٤ م٢ ص١٩٠.
(٦) الذخيرة :م١ ق١ ص٤٤١.
(٧) المصدر نفسه : م١ ق٣ ص٣٣٥.
(٨) التشبيهات: ص١٢٢ قطعة ٢٢٩.

وجدتكُ دهراً ثانيـاً شَـعْرك الـدُجى ووجهكَ إصباح وهَجْرك كالصـرف[٢]
فإن أبغِ[١] صُبحاً كان خدُّكَ مُصـبحي وإن أبغِ ليلاً بتُّ في شَعْرِك الوحـفِ[٣]

ومن التشبيهات قول ابن زيدون[٤] في الشعرَ الأسود الطويل:[الطويل]

هَبيكِ اغتَرَرْتِ الحيَّ !! واشيكِ هاجِعٌ
وَفَرعُكِ غربيبٌ، وَلَيْلُكِ لائلُ[٥]

ومِثْله قُولُهُ فيهِ أيضاً[٦]:[الكامل]

هذا الصباحُ على سُراكِ رقيباً
فَصِلي بِفَرعكِ لَيْلَيْكِ الغِربيبا

وقد إنبهروا بالشَّعر الأشقر وتَغزلوا به، وكَثُرتْ التَشبيهات في وصفهِ فشُـبه بالتبر، والسلاسل الذهبية، وبالشفق[٧]، كما شبه الشعر الأسود بالفَحَمِ[٨].

---

(١) الصرف : يعني صروف الدهر أي أحداثه وتقلباته.
* ابن الحنّاط : أبو عبد الله محمد بن سليمان كان أبوه يبيع الحنطة. وكان من أوسع الناس علماً. انظرترجمته في الذخيرة: م١ ق١ ص٤٣٧ – ٤٣٨.
(٢) التشبيهات: ص١٢٢ قطعة (٢٢٩).
(٣) الرصف : الشديد السواد.
(٤) ديوان ابن زيدون: ص٤٨٣ . تحقيق علي عبد العظيم وجاء فيـه وليلـك أغصـف والليـل الأغصف: المظلم.
(٥) أغترت الحي: خدعتهم وحضرتِ إلينا على غرة منهم، فرعك: شعرك الغزير. غربيب: شديد السواد. ليل لائل: أشدّ ليلي الشهر ظلمة وطولاً.
(٦) ديوان ابن زيدون: ص٣٢٤ . طـ . نفسها
(٧) المصدر نفسه: ص١٢٤ قطعة ٢٣٢. وانظر ديوان بن زيدون: ص١٤٤ تحقيـق علـي عبـد العظيم.
(٨) نور الدين ابن سعيد: عنوان المرقصات والمطربات ص٨٢ – ٨٤. دار الكتب العربي للطباعة

وتَبرزُ ظاهرةُ أخرى للشَعرِ المُجَعَدِ القَصيرِ الأَشقرِ. تَغَزَلَ فيها عبادة بن ماء السماء قائلاً[1]: [الخفيف]

وكأن التفافَ شعركِ جعداً ... فوقَ وجهٍ يضيءُ ضوءَ السراجِ
طَبَقٌ مُكفأ من التِّبر محضاً ... تحتَهُ للعيونِ لُعبةُ عاجِ

ونذهب مع ما ذهب إليه المستشرق الفرنسي هنري بيريس في تعليقه قائلاً (نجد أن المرأةَ السمراء ذاتَ الشعر الطويل المثال الكلاسيكي للمرأة التي يتغنى بها الشعراءُ. لكنَّ القَرن الحادي عشر الميلادي أظهرض حُباً وتَعلّقاً بالشقراءِ ذاتَ الشعر القَصير) [2] والمسألةُ، ذوق تتعلق بالإنسان.

ومثلما تَغَزلَ عبادَةُ بالشَعرِ القصير تغزلَ ابن هارون بالشَعر الأشقَر الطويل. وقد شبَّهَهُ بسلاسلِ الذَهبِ، واجتماعُهُ مع بياضِ البشَرَةِ أعطى جمالاً رائعاً[3]. [الكامل]

كسلاسلِ الذَهب المورَّس فَوقَ وجْهٍ ... من لُجينٍ بالملاحَةِ قد زها
وكذا الصباحُ بَياضُهُ في شُقرةٍ ... فكأنه بهما غدا فُتشبِّها

ونجدُ القيْنَة الراقصة. قد اهتمت هي الأخرى بشعرها فراحت تُمشطَه وتتركه مسدولاً. وكانت هذه التسريحة مفضلة عندهن. أثناء مزاولة الرقص. يقول إبن حمد يس[4]: [الطويل]

كما مَشطَتَ غيدُ القيانِ شُعورَها ... وقَامت لرقصٍ في غلائِلها الخمرُ

وقوله[5]: [المتقارب]

---

(١) التشبيهات: ص١٢٢ قطعة ٢٣٠.
(٢) الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص٤٠٢.
(٣) التشبيهات: ص١٢٥ قطعة ٢٣٤.
(٤) ديوان ابن حمد يس : ص١٩٢.
(٥) المصدر نفسه: ص١٣.

وسُودِ الذَوائبِ يَسحبنَها كسَعي الاساودِ فوقَ الكثيب
تَوافَقُ بالرَقصِ أقدامُهن يَطأنَ بها نَغمَاتِ الذُنوب

وكثيراً ما أُعجب الشعراء بتصفيف شعرهنَّ وإرساله على أصداغهن[1]، ومثله قول الحكيم أُمية بن عبد العزيز[2]:[الكامل]

جُلّتْ عقاربُ صَدغهِ في خَدِه قمراً يُجَلُّ بها عن التشبيهِ

ورَسَم لنا الرمادي تَسريحةً أخرى للشّعرِ الطَويل الأشقر. وذلك بانسدالِ شعر الصُدغ ولويِّهِ ، وعَقربةُ الذُوائب المنسدلةِ على الرَدفِ وتَشبيههما بالافاعي والعقارب. يقول[3]:[مجزوء الكامل]

غُررُ اللجينِ وفَوقَها أصداغُ عقْيان لواعبْ
تُوِّجْنَ منهُ وأرسلَتْ منهُ إلى الكُثُبِ الذوائبْ
أصداغُهُنَّ مع الذوا ئبِ كالأساودِ والعقاربْ

وقد شُبه شعر الصُدغ بالنون قائلاً[4]:[الطويل]

وَصُدْغينِ كالنُونين كالليل عُقّربا على ورقٍ إنْ يَلْقَ لحظاً تعسْجدا

ومنهن من صَفَفَت شَعْرَها. وجَعَلْته غدائرَ منسدلةً. مما دعا الشعراءَ أن يُشبهوا ضفائرهن بالاساود.

وقد نَحَوْا نَحوَ المشارقةِ في هذه التشبيهات كعادتهم. ومنهُم من شَبَّهَهُ بقَنوانِ العناقيدِ من يانِع الكَرْمِ[5] .. وربما كانَ لإهتمامِ المرأة بشَعرها ولجماله ما جَعلَ

---

(١) انظر ديوان ابن زيدون ورسائله: ص١٧١ تحقيق على عبد العظيم. وانظر تحقيق نديم مرعشلي: ص١٢. مكتبة نهضة مصر بالفجالة ١٨ شارع كامل صدقي.
(٢) الديوان : ص١٥٩.
(٣) شعر يوسف بن هارون : ص٥٢ . وانظر التشبيهات : ص١٧ قطعة ٢٣٩.
(٤) المصدر نفسه : ص٦٣.
(٥) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس : ص٣٧٧.

الشعراءَ يُولعونَ به لدرجةٍ جعلتهم يَرْضَوْن عن اللّيالي السُودِ لأنها تُشبهُ لِمّةَ الحبيبة، ومثل ذلك قولُ يُوسُفَ بنُ هارون[1]: [الوافر]

وكنتُ عن اللّيالي غَير راضٍ ... بحالٍ إذْ جَنَتْ تَغيير حـالي
فلمّا إنْ رأيتُ الليـلَ شـبهًا ... للمّتَهُ رضيتُ عن اللّيـالي

وهكذا كان الشّعر عنوان زينة المرأة الأندلسية والإهتمام به من مظاهر ثأنقها وتَحَضُّرِها. فَلَفَتَ ذلك أنظارَ الشعراءِ وأفاضَوا في الحَديثِ عن جماله، وتَفَنَّنُوا في تَشبيهاتهم لَهُ، ورَسموا صوراً رائعةً لألوانه وأنواعه.

(٢) الملابس :-

يبدو أن المرأة الأندلسية لها باعٌ طويل في الأناقة . فقدْ حذَّرَ طارقُ بن زياد جُنْدَه (من بناتِ اليونان الرافلاتِ في الدّر والمرجان. والحللِ المنسوجة بالعقْيان) [2] .. وهو مَعْذُورٌ في تحذيرِه . فقد رُوِيَ عن رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، قال:-

"أخَوفُ ما أخافَهُ عليكم فتنةَ النساءِ ، قالوا كيفَ يا رسولَ الله، قال إذا لَبِسْنَ رَيطَ اللِّثامِ، وحُلل العراقِ، وعُصبَ اليمنِ. ومِلْنَ كما تَميلُ أسنمةُ البختِ، فإذا فعَلْن ذلكَ كلَفَنَ المُعسرَ ما ليسَ عِنْدَهُ"[3] والملاحظ عليها أنها بَهرت الرجال بأزيائها التي إتسمت بطابع الأناقة والنفاسة والإسراف[4]. لقد لبست من أصنافِ وأنواعِ الأقمشةِ مالا يُوجد في بقاعِ العالم حيث توافَرتْ في بلدها من (صنوف الخَزّ الطّرزيّ والكساء العنبريّ والمُرَيش والديباجْ، والدّيباج الرُومي[5]) كما عُرَفَتْ الثيابَ السُوسيَّة[6].

---

(١) شعر يوسف بن هارون: ص١١٠ . التشبيهات: ص١٢٢ قطعة ٢٢٨.
(٢) النفح : جـ١ ص٢٢٦.
(٣) ربيع الأبرار: ص٢٧٩.
(٤) الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده: ص٨٣.
(٥) ابن عذاري : البيان المغرب : جـ١ ص٢٩٦.
(٦) الذخيرة : ق٤ م٢ ص٦٥٣.

وثياب الخزّ العَبيدي[1] والملابس السحوليّة[2]. حيث كانت في الأندلس مصانعُ (للحلل المُوشية النفيسة) [3] (والمُوشيّة بالذهب) [4] . ومن (طِراز الوطاء البسطيّ من الديباج الذي لا يُعْرَفُ لَهُ نظير) [5] . كما لبست (الوَشيْ المُهلهل) [6] و(الثياب القلشانيّة) [7] و (الحرير الجيّان)[8] والحرير الخسرواني[9] الذي قال فيه إبن بسام (قد أُلهبَ بالذهب نُحورَها وحواشيها وقُرنتْ بالعَسجد اسافلَها وأعاليها، وكُحِّلتْ بأسلاكِ الجوهرِ خطوطها ورسومها ووصلتْ بالياقوت الأحمر دوائرها ورفوفها) [10].

وإذا عرفنا الحريرَ من لباسِ أهلِ الجَنة [11] . فقد عَرفَتْ المرأة من (طرازه ثمانمائة طَراز / كما لَبستْ السقلاطون. والأصبهاني. والجرجاني والستور المكللة والثيابِ المَعينَة، والعُتّابي والمحاجر. وصنوفُ أنواعِ الحريرِ) [12] الأخرى. ويقول

---

(١) المقتبس : جـ٥ ص٤٢٨ . ط. مدريد١٩٧٩.

(٢) الروض المعطار: ص٣٠٨.

(٣) فضائل الأندلس وأهلها: ص٥٧.

(٤) المقتبس : جـ٥ ص٤٢٨.

(٥) الروض المعطار : ص١١٣.

(٦) الذخيرة : م١ ق٢ ص٣١٩.

(٧) الروض المعطار: ص٤٦٦. والثياب القلشانية: تعمل في قلشانة غريبة الصنعة.

(٨) النفح: جـ٤ ص٢٠٤. وانظر . فضائل الأندلس وأهلها: ص٥٥ – ٦٨.

(٩) الخسرواني: الحرير الرقيق الحسن في الصنعة، منسوب إلى خسرو أحدملوك الأكاسرة. انظر : المطرب من اشعار أهل المغرب: ص١٩٥.

(١٠) الذخيرة: م١ ق٣ ص٤٣٤.

الملابس السحوليّة : نسبة إلى سحوال في اليمن.

والسحل: ثوب من القطن، المخصص: جـ٣ ص٦٧.

(١١) انظر القرآن الكريم : سورة الحج. رقم الآية (٢٣) . بسم الله الرّحمنْ الرّحيم "إنّ الله يُدْخِل الذينَ آمَنوا وعَملوا الصّالحات جنات تجري منْ تحتها الأنهارُ يُحلّوْنَ فيها من أساورِ من ذهبٍ ولؤلؤاً ولِباسُهُمْ فيها حَريرٌ.) صدق الله العظيم.

(١٢) الذخيرة: ق١ ق١ ص٤٣٥.

ليفي بروفنسال كانت إسبانيا تُصدّر الأقمشةَ الثمينةَ والحُليّ إلى أوربا[1] وثمة أقمشةٌ أُخرى هي:-

المُفصصُ، والمقسّمُ ، والمشوبُ) [2]. فهذهِ أهمُ صنوفَ الأنسجةِ ولقد إزدانت المرأةُ بألوانِ الملابسِ الجذابةِ، وأفادتْ من هذا التنوعِ والتفَننِ في الملابسِ مما دعا الشعراءُ إلى التغزل بملابسها.

وقد رُوِيَ إنها لَبِستْ القميصَ كما لَبسهُ الرجلُ[3] . ويبدو أنها بلَغتْ من الأناقة في الأزياء إلى درجةٍ جعلت قميصاً للصباحِ وآخر للمساءِ. يقول إدريس[4] بن اليماني المتوفي سنة (٤٧٠هـ). [الطويل]

سَرَتْ في قَميصِ[5] الصُبحِ وهو جَسيدُ ... فأبلتْ قَميصَ اللّيلِ وَهوَ جَديدُ
ولما استمدَّ الأفقُ من نُورِ وجهها ... تَقاصَرَ باعُ اللّيلِ وهو مَديدُ

وقد ذكر لنا الشعراء ألواناً وأصنافاً من القُمصانِ منها الأبيض الذي يُشبه الغَيْم الرقيق والأصفر المُشْبِهُ لأشَعةِ الشمس . كما وردَ في شعرِ ابن خفاجة[6]:[الكامل]

وَرَفَلْتُ بين قَميصِ غَيمٍ هلهلٍ ... وَرِداءِ شمسٍ قدتَمزّقَ أصفراً

---

(١) سلسلة محاضرات ليفي بروفنسال : ص٥٣.
(٢) النفح : جـ٥ م٣ ص٨٧.
(٣) التكامل في التاريخ: جـ٩ ص٢٨٩.
(٤) الذخيرة : ق٣ ص٣٥٨.
(٥) القِبص: إن كلمة قميص تسللت إلى اللغة الرومانية. والقميص عند المغاربة له كمان مفتوحان. كل كم من هذين الكمين يبلغ طوله أحياناً خمسة أذرع. ويعلقان غالباً فوق الظهر بحيث أن الذراعين تظلان حينئذ مكشوفتين – وحول العنق يكون هذا القميص دائماً وابداً مطرزاً بالحرير الأصفر. انظر:
رنهارت دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب : ص٣٠٠ – ٣٠١ ترجمة الدكتور أكرم فاضل – وزارة الأعلام – مديرية الثقافة العامّة ، دار الحرية للطباعة – مديرية مطبعة الحكومة – بغداد ١٩٧١ م –١٣٩١هـ.
(٦) ديوان ابن خفاجة: ص٣٩ . الهلهل: ما فيه نقوش وصور كالأهلة.

ومنها ذو اللّون الأسود كما قال ابن شهيد[1] :[الطويل]

مَضى السّلَفُ الوضّاحُ إلاّ بقيّة كغُرةِ مُسَودّ القميصِ بهيمُ

وفيه يقول ابن عبد الصمد[2]:[الكامل]

وأحمَّ مُسوّد القميصِ كأنّما خَلَعَتْ عليهِ ثيابَها الظلماءُ

ويُفسر رينهارت دوزي كلمة (درع) (بالقميص) فيقول:

(لاَ تنطَبِقُ إلاّ على قميصِ المرأة. وكثيراً ما استَعملَ الشعراءُ هذه الكلمةَ للإشارةِ إلى المرأةِ نَفسِها) [3] .. ويُستَشْهَدُ ببيتٍ للمعتمدِ بنِ عبادٍ وردَ في قلائد العقيان يقول[4] : [الكامل]

إن نَشَّرت تلك الدروع منادساً يَختالُ في حُلَلٍ من الخُيلاءِ

أمّا الراقصاتُ فكنَّ يؤثِرن الحمرةَ من الملابس. وهذ الراقصةُ قد زهَت بقميصٍ أحمرٍ يقولُ فيها إبن خفاجة[5] :[الكامل]

وكأنها والريحُ عابثةً بها تَزهى فترقُصُ في قميصٍ أحمرِ

وردت الحُلّةُ كثيراً في الشعرِ مما يدلُ على تَداولِها بين النساءِ وربما كانت من أزياء المناسباتِ يقولُ أبو الصلت أمية[6] :[الكامل]

أهلاً به لمّا بَدا في مَشيهِ يَخْتالُ في حُلَلٍ مِنَ الخُيلاءِ

وَعَدَّ ابنُ زيدون[7] الحلّةَ من ملابس المرأةِ الحسناء:[المتقارب]

---

(١) ديوان ابن شهيد : ص١٤٧.
(٢) الذخيرة: م٢ ث٣ ص٨١٧.
(٣) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ص١٤٥.
(٤) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ١٤٥.
(٥) الذخيرة : م٢ ق٣ ص٦٠٠.
(٦) ديوان الحكيم أبي الصلت أُمية : ص٤٨.
(٧) ديوان ابن زيدون : ص٤١٧ تحقيق علي عبد العظيم.

هي الشمسُ مَغْرِبُها في الكَلَلْ[1] ومطلعُها من جيُوب الحُلَلْ

وقد تَفَننوا في تطريز الرداء بخيوط من الذَهب وكانت تُشْغَلُ حاشيَتُه وتُطَرَّزُ. وفيه يقول أبو القاسم (الأسعد بن إبراهيم) [2] المتوفى سنة (٤٤٠هـ). [الكامل]

لَبِسوا[3] من الزَّرَدِ المُضاعَفِ نَسْجُهُ ماءً طَفَتْ للبيضِ فيه حَبابُ
صَفٌّ كحاشيةِ الرِداءِ يؤُمّهُ صَفُّ القَنَا فكأنهُ هُذَّابُ

ومن التشبيهات التي وَرَدتْ في الرداء قول إبن حصن الأشبيلي[4]: [الطويل]

ورَقَّتْ حواشي الدهرِ حتى كأنَّهُ رِداءُ عروسٍ بالعبيرِ مُرَقْرَقُ

ومن عادةِ العروس عند زَفافها لبس الملابسَ ذاتَ الذيل الطويل[5] وقد تَلْبسُ (الرداء المفضفض) [6] أو مصبوغاً بالزَعفرانِ. يقول ابن صارة في تشبيهه[7]:[الخفيف]

أنْظُرُ النهرَ في رِداء عَروسٍ صبغتْه بزَعفُرانِ العَشيِّ

ويظهر أن الشعراء قد وصفوا قراطق حبيباتهم ومحظياتهم وجواريهم وذكر رينارت دوزي[8]. بأن القُرطُق لِبْسُ معروفاً مُعَرَبُ (كُرتَه) ويعني ستره. ومصغر

---

(١) الكلل: جمع كلّة وهي ستارة رقيقة تسدل على السرير . الجيوب: جمع جيب وهو طوق القميص.

(٢) الأسعد بن إبراهيم بن بليطة ، أبو القاسم: شاعر مجيد تردد على ملوك الطوائف ونال جوازهم وتوفي سنة ٤٤٠هـ . انظر الذخيرة: م٢ ق١ ص٧٩٠.

(٣) المطرب من أشعار أهل المغرب: ص١٢٦.

(٤) ابن حصن الأشبيلي: هو أبو الحسن علي بن غالب بن حصن الأشبيلي نشأ في أشبيلية كان شاعراً مكثراً أجاد الوصف والفخر والمدح والغزل – ترجم له صاحب الذخيرة.

(٥) انظر قلائد العقيان : ص١٢٣.

(٦) انظر المغرب في حلي المغرب: جـ٢ ص٤١٢.

(٧) النفح : جـ٥ م٣ ص١٣٦.

(٨) المعجم المفصل: ص٢٩٢.

كُرتُك يُشير إلى قَميصٍ يلي الجسمِ مباشرةً وله كَمان يصلان إلى المرفقين . وفيه يقول ابن الحداد[1] الوادي آشي (ت٤٨٠هـ): [الطويل]

وَحَشْوِ قبابِ الرَّقمِ أحوى مُقرطقُ كما آسُ روضٍ عَطْفُه والقراطقُ

وكما لبست السترة . لبست النطاقَ وقدذكرَ الشاعر نِطَاقها القصير كنايةً عن خصرِها الهضيم. يقولُ ابن اللّبانة[2]:[السريع]

واحسرتاهُ ماذا إبتلينا بِهِ من كاملِ الذَرعِ قصيرِ النِطاقِ

ولبستْ الملابسَ من مختَلِف الألوانِ كالمُزعفرِ (المصبوغ بالزعفران)[3] والعَصفرِ[4] ، كقول عبد الجليل بن وهبون[5] المتوفي سنة (٤٨٨هـ).[الطويل]

خُلِعَتْ عليهِ من بَهائك خُلَّةٌ كما عُصفرت فوقَ العروسِ جيُوبُ

يتضح من الأشعار أن المرأة لبست (المِرط). وهو ملحفةٌ يؤتزر بها[6] . وأقمشةُ المِرطِ تكونَ من الخزِّ أو الصوفِ أو الكتانِ وهو عادة ملوّن، ومن ألوانه السواد والخُضرة[7]. ويعتقدُ دوزي (أن كلمة "مرط" تعني نوعاً من التبانِ أو السِروال)[8] . وهو ما نُسميه اليوم (تنورة) ويشمل الجزء الأسفل من الجسم.. وقد قال فيه إبن زيدون[9]:[الطويل]

---

(١) شعر ابن اللبانة : ص٦٩.
(٢) انظر الذخيرة: م٢ ق٣ ص٦٣٢. والنفح : جـ٥ م٣ ص٣٢.
(٣) مختارات من الشعر الأندلسي: ص١٣٧ . الرقم : نوع من النسيج والوشي.
(٤) أنظر ديوان ابن خفاجة: ص٢٥٣ تحقيق مصطفى غازي .
(٥) انظر الذخيرة : م١ ق٢ ص٥١٩.
(٦) ابن سيدة : المخصص – جـ١ – السفر الثالث – ص٧٧.
(٧) صبيحة رشيد رشدي : الملابس وتطورها في العهود الإسلامية: ص٦٧. طـ الأولى ، ساعدت مؤسسة المعاهد الفنية على نشر هذا الكتاب.
(٨) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب : ص٣٢٦ -٣٢٧.
(٩) ديوان ابن زيدون : ص٢٨٧. تحقيق علي عبد العظيم

غريبُ فنون الحُسنِ يرتاحُ دُرعُه[1] متى ضاقَ ذرْعاً بالذي حازَهُ المرطُ

وكثيراً ما تطرقَ الشعراءُ إلى وِشاحِ المرأة. والوشاحُ[2]: مَنطَقَةٌ عريضةٌ من الجلدِ مزركشٌ بالأحجارِ الكريمة تعقدهُ المرأة على خَصرِها. والوشاحان قلادتان تتوشحُ بهما. تَرسُل أحدهما على جنبها الأيمن والأخر على الأيسر[3]

وقد كرر الشعراء لفظة (ذاتَ الوشاحِ) في أشعارهم للدلالة على المرأة. ومثله قول ابن حمد يس[4] :[السريع]

قُم حاكِها من كفِّ ذاتِ الوشاحْ وقد نعى اللّيلَ بشيرُ الصباحِ

كما ذكر الشعراء الفعل من الوشاح، ومنهم ابن اللبانة[5] قائلاً: [الكامل]

وتوشحت فكأنه في جَوْشَنٍ قد قامَ عنبرُهُ مقامَ العثيرِ

والأندلسيةُ لبست ثوباً (مفرطاً في الشفافيّة والخِفَة) يدعي الغلالةُ. ويرى دوزي (إن الغلالةَ كانت صفراء على الدوام في العهود القديمة) [6] وفيها يقول ابن شهيد[7]:[الطويل]

رُبيِّ نَسَجَتْ أيدي الغَمامِ لُبْسها غلائلَ صُفراً، فوقِ بيضٍ غَلائلِ

---

(١) درع المرأة : قميصها.
إن كلمة سروال مشتقة من الكلمة الفارسية شلوار وكانت مستعملة منذ العهود الإسلامية الأولى (المعجم المفصل) دوزي: ص١٩٨ -١٩٩.
(٢) المعجم المفصل: ص٣٤٦ . وانظر دراسات في الأدب الأندلسي : ص١٦٨.
(٣) المصدر نفسه: ص٣٤٧. وانظر اللسان مادة (وشح).
(٤) المطرب من أشعار أهل المغرب : ص٥٤.
(٥) شعر ابن اللبانة : ص٥٤.
(٦) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ص٢٦١. وقد علق دوزي على الغلالة بقوله إن (ابن اللبانة) وهو يتحدث عن المعتمد (خرج من قصره عليه غلالة ترف على جسده) ويقصد (القميص) . انظر المصدر نفسه: ص٢٦٢.
والغلالة : ثوب رقيق يلبس تحته ثوب سميك . انظر الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية : ص٤٩.
(٧) ديوان ابن شهيد : ص١٢٨ . تحقيق شارل بلا.

وربما لبست الملاءة والإزار. وعلى ما يبدو هناك نوع (مصنوع من الحرير وله أنواعٌ متعددة . والشقتان اللتانِ تتألفُ منهما المَلايةُ مخيطتان معاً) [1]. قال ابن زيدون[2]:[الكامل]

لغَشِيتُ سَجْفَكَ في مُلاءَةِ نَثْرِهِ فُضُل ، سوى أن العِطافَ نِجادُ

ويقول إبن خفاجة[3] في الملاءة والأزار: [الطويل]

أفاضَتْ على عَطفِ القضيب مُلاءَةً ولفّت على ظَهرِ الكَثيب إزارا

ويرى ابن بسام (إنَّ الأزارَ لبس من لِبسِ النساء، والإزارُ لهنَّ أخلَقُ وبهنَّ أَلْيَقُ وبهنَ أَلِيقُ) [4]. (وهو غطاءٌ واسعٌ تَلفُ المرأةُ به جسمَها كلَّهُ)[5]،وقد عَرَفَته الأندلسيةُ[6] . وعَطَّرَتْهُ وطيَّبَتْهُ بالعطورِ[7] والطيبِ. ولَبِسَتْهُ[8]. (وكانت تطوى المَلاءَة أكثرَ من طيءٍ عند لبسِها)[9].

ولبست المرأة الأندلسية الحرير على مختلف ألوانه وأشكاله. يقول أبو الحسن علي بن حصن الإشبيلي[10] في الحرير اللازوردي الأزرق: [مجزوء الكامل]

---

(١) انظر المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب : ص٣٣١.

(٢) ديوان ابن زيدون : ص٤٥١.

• السّجف والسّجاف والعِجاف: الستر أو الستران المقرونان وبينهما فرجة. والعلاءة: ثوب لين رقيق من قطعة واحدة. النثرة: الدرع الواسعة . العطاف : الرداء أو السيف. انظر هامش المصدر نفسه.

(٣) ديوان ابن خفاجة : ص٢٢٢ . وانظر صبيحة رشيد : الملابس العربية ص٥٣.

(٤) انظر الذخيرة : م١ ق٣ ص٣٧٨ -٣٧٩.

(٥) المعجم المفصل : ص٣٨.

(٦) المغرب في حلى المغرب: جـ٢ ص٤١٧ -٤١٨.

(٧) انظرقلائد العقيان: ص١٢٥.

(٨) الذخيرة : م٢ ق٣ ص٥٩٢.

(٩) المصدر نفسه: م٢ ق٣ ص٦٦٢.

(١٠) جذوة المقتبس : ص١٨٤.

لمّـــا بـــدا فـــي[1] لازور ديٌ الحريـــر وقـــد بهـــرْ
كبّـرتُ مـن فَـرطِ الجمـا ل وقُلـتُ مـا هـذا بشَـرْ
فأجـــابني لا تَكْـــرَنّ ثـوب السـماءِ علـى القَمـر

ويقول الرّمادي[2] في الثّوبِ الأزرق الذي فاقَ الثوبَ العراقيّ فـي تَوَهُجِـهِ: [مخلع البسيط]

يا ثَوبَهُ الأزرقُ الذي فَدْ فاقَ العراقيَّ في السناءِ

ويظهر أن المرأةَ الأندلسيةَ لَبِستْ الإتِبْ[3]. ويقصد بالإتِـبْ كافـة الملابـس القصيرةِ التي لا تَصلْ إلى أكثر من منتصف السيقان، والإتِبْ يعني – أيضاً- نوعـاً من السراويل القصيرة. السروال الذي لا فتحةَ فيهِ لدخول السيقان. أو أنه قمـيص لا كم له. قال ابن حمد يس[4] يصف إمرأة ميسورة لبست الإتِبْ:[الطويل]

يَكادُ وليدُ الذُرِّ يجرَحُ جسمَها إذا صافحتْ منها أناملُهُ الإتبا

وربما عَرَفَتْ الصدار. (وهو الثوبُ الذي يبلغَ الصدر)[5] أو (ما تَلْبَسَه المرأة على صَدرها)[6]. ومما جاء في ذكر الصِدار قول ابن خفاجة[7]:[الطويل]

يُزرُّ عليها الصُبحُ جيبَ قميصِهِ وقد لبسَ الجوُّ الظّلامَ صِدَارا

---

(١)سمى ابن بسام (اللازوردي) بالحرير الخسرواني، والخسرواني: الحرير الرقيـق الحسـن فـي الصنعة. منسوُب إلى خسرو أحد ملوك الأكاسرة. انظر المطرب : ص١٩٥.

(٢) شعر يوسف بن هارون: ص٥١.

(٣) انظر المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب : ص٢٨- ٢٩.

(٤) يدوان ابن حمد يس : ص٥٠.

(٥) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب : ص٢٠٥.

(٦) المرأة في الشعر الجاهلي : ص٦٣.

(٧) الذخيرة : م٢ ق٣ ص٥٨٣.

ومثلما لَبِست الصدار لبست الزنار لزيادة أناقتها. والزنار (حزام). يقول رينهارت دوزي (إن هذه الكلمة كانت تُشير في إسبانيا إلى مئزرٍ غليظٍ يَلْبَسهُ الفلاحون) [1] وربما تغزل أبو الصلت أمية بلابسته الغلامية فقال[2]:[السريع]

وعاقدَ في الخضر زنارا أضرمَ في أحشائيَ النارا

وكانت تَلبسُ الثيابَ ذات الألوان الجّذابة المصنوعة من نسيجٍ مُزخْرفٍ بالنقُوشِ البديعةِ وقد طُرزتَ حَواشيها بالذَهَب الوهّاج المتلألئ[3]. أيام أُنسها وفَرَحها. أمّا أيامُ أحزانها وأفراحها فقد كانت تكتفي باللّونِ الأبيض. خاصة إذا حَزَنتْ على الموتى. ويبدو أنها عادةٌ متبعة في الأندلسِ وبذلكَ خَالفْنَ المشرقياتِ في لِبسهُنَّ السوادِ أيامَ أحزانهنَّ[4] . يقول الحصري[5] الكفيف المتوفى سنة (٤٨٨هـ).[الوافر]

لئن كانَ البياضُ لباسَ حزنٍ بأندلسٍ فذاكَ من الصَّوابِ
ألم تَرَنِيَّ لبَستَ بياضَ شَيبي لأني قد حَزَنْتُ على الشَّبابِ

وقد شاع تطريز الكتابة على الملابس ككتابة الفاظ من الآيات[6] القرآنية والأبيات الشعرية. ولم تَقْتَصِرُ الكتابةُ على ملابس النساءِ بل شَملتْ ملابس الرجال. يقولُ ابنُ عمار[7] المتوفي (٤٧٧هـ) :[الطويل]

---

(١) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ص١٦٢.

(٢) ديوان الحكيم أبي الصلت أمية: ص١١٩.

(٣) ديوان ابن زيدون : ص٢٠٦.

(٤) الذخيرة : ق١ م٢ ص٩١٤. وانظر المصدر نفسه : م١ ق١ ص٩١٣ . والنفح جـ٤ م٢ ص٤٠٤.

(٥) رايات المبرزين وغايات المميزين: ص١٤٣ . وانظر المطرب: ص٨١

(٦) انظر ديوان التطيلي : ص٢٦٨.

(٧) قلائد العقيان: ص٨٧.

تَحلّتْ من السيفِ الخضيبِ بصَفحةٍ وقامت من الرّمحِ الطويلِ على قَدّ
ودُونكَها مِن نَسجِ فكريَ حُلّةً مُطَرّزةَ العطفينِ بالشكرِ والحمدِ

ومنهن من طَرزَتْ باسلاكٍ من الذهبِ ملابسَها. فقد كتبت ولّادةُ بنت المستكفي على عاتقَي ثوبها وطرزتَهُ بالذهب الخالصِ. وقد كتبتْ على الطِّرازِ الأيمن: [الوافر]

أنا واللهِ أصلَحُ للمعالي وأمشِي مِشيتي وأتيهُ تَيهاً [1]

وكتبت على الطِّرازِ الأيسرِ:[الوافر]

وأُمكّنُ عاشقي من صَحنِ خدي وأعطي قُبْلَتي من يَشْتَهيها

وقد رَفَلتْ المرأةُ بالحَبْرةَ وتَبَختَرْت بها. (والحَبْرَةُ) [2] رداءٌ واسعُ مُخَطَطُ موشاة من بُرودِ اليمَنِ . وربما لبَستهُ القيانَ[3] ونَجِدُ ابنَ زيدون قد تَغزلَ بالكَاعبِ الحسناءِ التي لَبستْ الحبْرةَ قائلاً[4] :[البسيط]

من كلِّ مُختالةٍ بالحبرِ رافلةٍ فيه اختيالُ الكعابَ الرُّؤدِ بالحبرِ[5]

ويبدو أنها لَبسَت المعطفَ أيضاً. وفيه يقول أبو بكر[6] الداني (ت٥٠٧هـ):[السريع]

غيداءُ جيداءُ لها معْطَفٌ يُرْفِلُ من ديباجةٍ في اتشاحْ

---

(١) الذخيرة : ق١/١ ص٤٢٩ -٤٣٠ . النفح: جـ٥ م٣ ص٣٣٦.
(٢) المعجم المفصل بأسماء الملابس: ص١١٠-١١١. وانظر المخصص: ص٦٧ السفر الثالث.
(٣) الذخيرة: م١ ق٤ ص٧٥-٧٦ . البيان المغرب : جـ٣ ص١٤١.
(٤) ديوان ابن زيدون: ص٢٠٦ تحقيق علي عبد العظيم.
(٥) الحبر: البهاء والحسن. الرؤد: الشابه الحسنة. الحِبرُ أو الحِبرةُ : موشاة من برود اليمن، انظر المخصص/ السفر الثالث ص٦٧.
(٦) الذخيرة: م٢ ق٣ ص٧٠١. المعطف : بمعنى الكساء انظر معجم دوزي : ص٣١١.

ولا يَغربُ عن بالنا ما للخِمارِ من إغراءٍ يضفي على المرأة بهاءً ويلفت إليها الأنظار . والخمار: (برقع يتعلق بقمة الرأسِ ويُغطي مقدمة العنق ويستر الذقن والفم) [١] وهو نوع من الحجاب[٢].

وقد أسماه دوزي (المَعقب) [٣] . ومما جاء في الخمار الملوّن قول أبي الفضل عبد الواحد الدارمي الوزير[٤]:[مجزوء الرمل]

قلتُ للملقى على الخَدّين ... من وردٍ خِمارا

وقولُ إبن اللّبانة[٥] وقد أضافَ الخِمارُ جَمالاً إضافياً للحسناء:[الكامل]

حَسُنتْ أمامي من خِمارٍ مِثلَ ما ... حَسُنَ الكميُّ أمامَهُ في مِغفرِ

والعروس عندَ زِفافِها كانت تَلْبَسُ خِماراً مُعَطَّراً . وهذه العادةُ مشرقيةٌ، ظلت آثارها لحد الآن. حيث تلبس العروس ما يسمى بـ(الطرحة) أو (البرقع). يقول ابن اللّبانة[٦]:[الطويل]

يزفُّ إلى الأعداءِ من حومة الوغي ... عروسَ خمارٍ عطرُها عطرُ منشَمِ

وكانت نساءُ اليونان يستعملنَ الخمارَ إذا خَرجْنَ، وَيَخْفِيْنَ وَجوهَهُنَّ بطَرَفٍ منه[٧] . واستعملنهُ في القرونِ الوسطى. واستَمَرّنَ إلى القرنَ الثالث عشر الميلادي فصار نَسيجاً خَفيفاً يُستعملُ لحمايةِ الوجه من التُرابِ والبَردِ. ولكن بقيَ في إسبانيا وفي بلاد أمريكا. ومما يُلاحظ على الشُعراءِ كثْرةِ غزلِهم بحجابِ المرأةِ وبُرقُعِها

---

(١) المصدر نفسه : ص١٤٠.
(٢) الملابس العربية: ص٤٣.
(٣) المعجم المفصل بأسماء الملابس : ص٢٤٨.
(٤) الذخيرة : م١ ق٤ ص٧٥ – ٧٦.
(٥) شعر ابن اللبانة: ص٥٤.
(٦) شعر ابن اللّبانة : ص٩٧.
(٧) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٧٩ . عن (لاروس).

ونقابها يقولُ إبن جاخ[1] البطليُوسي الصباغ المتوفى بعد سنة (٤٨٠هـ) في المرأة ذات البرقع الذهبي:[المتقارب]

رأيتُ[2] الهوادجَ فيها البدور عليها البراقعُ من عسجدِ
وتحت البراقع مقلوبُها تدبُّ على ورد خدٍ نديٍّ

والنقابُ : (أن تَعْمَدَ المرأةُ إلى بُرقعٍ فتُثقبَ منهُ موضعُ العينِ)[3]. ويخبرنا الرحالةُ الأندلسي إبن جبير أن النساءَ الصقليّاتْ: (إنتقبْنَ بالنُقَبِ المُلونة) [4] . ويقول ابن زيدون[5] في الحسنَاء المُنتقبة:[الوافر]

رأيتُ الشّمسَ تَطلعُ من نِقابٍ وغُصنَ البانِ يَرفُلُ في وِشاحِ

وقوله وقد تَغَزلَ بالحبيبة[6] المُنتقبة: [المجتث]

ما البدرُ، شَفَّ سَناهُ على رقيقِ السحَابِ
إلاّ كوجهِكِ لمّا أضاءَ تحتَ النِّقابَ

ويظهرُ أن قسماً منهنَّ قد تَلثَمْن[7]. واللثام نوع من الحجاب أيضاً. وكان يَحْجُب من النساء الجزءَ الأسفل من الوَجه كما يُغطي الجزء نفسه من الرجال[8] .. وقد تَغَزل المُعتمد بن عباد[9] قائلاً:[الطويل] .

---

(١) ابن جاخ البطليوس الصباغ: كان شاعراً مُحسناً، ولعلَّ جَهلهُ القراءة والكتابةَ قد تركَ شعرَهُ بريئاً من التكلف . ولم تَقَعْ وفاته قبل (٤٨٠هـ).
(٢) رايات المرزين وغايات المميزين: ص٦٠.
(٣) انظر المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ص٣٤٢.
(٤) المصدر نفسه: ص٣٤٤.
(٥) ديوان ابن زيدون: ص١٤٩ . تحقيق علي عبد العظيم.
(٦) المصدر نفسه: ص٥٨.
(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ: جـ٩ ص٦٢٣، دار صادر، ط. بيروت ١٩٦٩.
(٨) المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب: ٣٢٣.
(٩) أ.ر. نيكل : الشعر الأندلسي : ص٨٢.

فقبّلتُ ما تحتَ اللِّثامِ من اللّمَى

وعانقتُ ما فوق الوشاحِ من العقدِ

هذا ولم تَكتفِ المرأةُ بزركشةِ ملابسها، بل راحت تزركش نعلها وقبقابها (بأصدافِ اللؤلؤِ والفضةِ) [1]. ويقال إن القبقابَ كان شائعَ الاستعمالِ في أسبانيا ذلك لأن (بيدور دي الكالا) ترجم كلمة (Gano de palo) بكلمة قُبقاب[2] .. ولكننا نؤكد بأن الأندلسية، حرصت على جمالها وزيادة أناقتها.. باستعمالها القبقاب لإطالة قامتها. أو لتفادي تجريرِ أذيالِ ثوبها المُوشى على الأرض وحاشيته المرصرفة المشغولة بأنواع التطريزِ .. فجاءت صورة واضحة للمرأةِ الأنيقة. وإننا نلاحظ هذا الصراع الفكري بين القيم حتى في الملابس فهي متأثرة وربما مُقلّدة للمرأة العباسيةِ [3] في ملابسها وتَزينها. المرأة التي عاشت في بغدادَ العصر الذهبي. فجاءت أناقتها وضاءةً بما لبسته من ثَمينِ الخَزِّ ورقيقِ الحرير، ببهيجِ ألوانهِ وجَميلِ رسومهِ وأشكالهِ ، الاّ أنّ الأندلسية بدت أكثر تَفَنُّناً وأناقةً منها.

(٣) الحُلي :-

لم تكتفِ المرأة بسلاحِها الذي حملتهُ من الجمال الطبيعي وثقافتها التي أرقت بها، فراحتْ تتقلّدَ الحلي لتزدادَ جمالاً. وقلّما بدت عاطلة عنها. وقد إفتخرت العذراء بلبسها[4] . وَصوّرَ الشعراء أنواعها والمادة المستعملة منها[5] ومواضع إستعمالها. فنراها لبست الأقراط[6] والشَنوف[7] في الأذن. والتيجان ذات الطوابق المرصعة

---

(١) المعجم المفصل: ص٢٩٢.

(٢) المعجم المفصل بأسماء الملابس: ص٢٨١.

(٣) د. واجدة مجيد: المرأة في أدب العصر العباسي : ص٢٣٨.

(٤) نفح الطيب : جـ٦ م٣ ص٢٤.

(٥) الروض المعطار في خبر الاقطار: ص٤٨٥ – وانظر البديع في وصف الربيع: ص٣٢.

(٦) الذخيرة : م٢ ق١ ص١٤٧ . وانظر المصدر نفسه: م١ ق٢ ص١١١.

(٧) المصدر نفسه : م١ ص٢ ، ص١٤٩ –١٥٠.

باللآلئ[1] بالرأس. والعقد[2] ، والقلائد[3] ، والمخانق[4] بالجيد. وفي المعصم الوقف والأساور[5]. والدملج في العضد[6] . والخواتم في الأصابع[7].

والمناطق والوشاح في الخصر[8] . وفي الساق الخلاخل والحجول[9] كما أشارت الأشعارُ أنها صُنِعَتْ من الذهب والفضَّة وطُعِّمَتْ باللؤلؤ والمرجان والياقوت الأحمر والدرّ والزبرجد، والزُمرد الأخضر، والعقيق. ولا نستغرب الأمر إذا علمنا أن الأندلسَ (صينيّةٌ في جواهرَ معادنها) [10]. (وذكرت لنا الأشعارُ صوراً جميلةً للياقوتِ المُستَعملِ في الحُليِّ المُنضَدِ بطريقةٍ لطيفةٍ فوقَ قضيب الزُمرد) [11] . وقد تَفنَّنوا في صياغتها وفي نَقش الرسُوم والفصُوص على الخواتم[12]. وقد أشارَ ابن خفاجة إلى خاتمٍ ذي فَصٍ سماوي[13]، كما أشارَ إلى خواتمٍ صِيغَت على شَكلِ نَجمٍ وهلال[14] ، وأشارَ إلى الصياغةِ نفسها المعتمد بن عباد.

وقد أشارَ التطيلي أيضاً قائلاً[15]:[الطويل]

---

(١) النفح : جـ٤ م٢ ص٣٦٩.

(٢) الذخيرة: م١ ق٢ ص٣٢٣، وانظر المغرب: جـ٢ ص٣٩٦.

(٣) ديوان ابن حمد يس : ص٢٨٢.

(٤) الذخيرة : ق٢ م١ ص١٨٠ (حلي من القلائد العقود . تكون ضيقة تحيط بالرقبة).

(٥) ديوان ابن حمد يس : ص٢٩٨.

(٦) شعر ابن خفاجة: كرم البستاني ص٧٨.

(٧) جذوة المقتبس: ص١٣٤ . والذخيرة: م٢ ق٢ ص٨٢٦.

(٨) الذخيرة : م٢ ق١ ص٧٦٣.

(٩) ديوان ابن زيدون : ص١٧٥.

(١٠) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ص١٣.

(١١) أشبيلية في القرن الخامس الهجري : ص١٣٩ - شعر ابن عباد أبو القاسم.

(١٢) النفح: جـ٦ م٣ ص٣٣٠. وانظر الذخيرة: م٢ ق٣ ص٦٢٧.

(١٣) ديوان ابن خفاجة: ص١٤٩ تحقيق مصطفى غازي .

(١٤) المصدر نفسه : ص١٤٨.

(١٥) الذخيرة : ق٣ م٢ ص٨٧٩.

أديرُ كدورِ البَدرِ ثم لَبستُهُ فَلَمْ تَرَ منه العينُ غيرَ هِلالِ

واستعملُ (السَبجْ) [1] في فُصوصِ الخَواتِم والياقوتِ الأحمرِ . والدرِ [2] والذَهبِ الخالص. قال أبن شهيد[3]:[مجزوء الكامل]

وتمايَلَتْ أيدي الثُر يا وَهيَ مُذهَبةُ الخَواتم

وقال [4] أحمد بن محمدابو حفصِ الكاتب المتوفى (٤٤٠هـ):[الطويل]

مَداهُنَ تبر في أنامِلِ فِضّةٍ على أذرعٍ مَخروطة مِنْ زَبَرجَدِ

وقد أشارَ إلى الأساور التي يُستَحسنُ صُمُوتها في المَعاصِم، قولُ إبن حمديس[5]:[الطويل]

وثابتةُ الوقفين جوالةُ القُرطِ أصَبْتُ رَشادي في هَواها ولَمْ أُخطي

يقول الآخر[6]:[الطويل]

يُعَذِّبُها عضّى السوارِ بمعصمٍ أَبانَ لها أن النعيمَ عذابُ

وقد لَبِسن الأقراطَ المصنوعة من اللآليء. واستُحسنَ القرطُ في آذانهن. إذا كان ناطقاً جائلاً[7] . يقول عبد الجليل [8] بن وهبون (ابن هند الداني المتوفي (ت٤٨٣هـ): [الطويل]

من اللآليء لا الأقراط يرضينَ زِينَةً لَهُنَّ ويُستَحسنَّ لبسَ القراطقِ

---

(١) السبج : خرز أسود.
(٢) جذوة المقتبس : ص١٣٤.
(٣) الذخيرة : م٢ ق٢ ص٨٢٦.
(٤) الذخيرة : ق١ م٣ ص١٨٣ – ١٨٤.
(٥) ديوان ابن حمد يس : ص٢٩٨. الوقف : السوار.
(٦) ديوان ابن زيدون : ص٦٢.
(٧) ديوان ابن خفاجة: ص١٦٧ . وانظر الذخيرة : م٢ ق٢ ص٨١٨.
(٨) الذخيرة : م٢ ق٢ ص٨١٨.

وقول ابن الأبار[1] المتوفي (٤٣٣هـ):[الطويل]

مُقَرْطَقٌ يَبسِمُ عن لؤلؤٍ رَصَّعَهُ الحسنُ بمرجانِ

وقال ابن حصن[2] الأشبيلي واصفاً الأقراط ذات السلاسل:[مجتث]

عَلَـــــيَّ أنْ أتَـــــذَلَّلْ لَـــــهُ وأنْ يَتَـــــدَلَّلْ

خـــــدٌ كـــــأنَّ الثُريـــــا عَلَيـــــهِ قُـــــرْطٌ مُسَلْسَـــــلْ

ولم يقتصر لبس التاج على الملوك[3] بل عرفته المرأة ولبسته[4] في الأفراح. والمناسبات. وزينت به راسها. لذا تكرر ذكره عند الشعراء، وإليه أشار ابن زيدون[5] كما أشار إلى لبس الوشاح[6]: [الطويل]

على خَصرِها فيهِ وِشاحٌ مُفصَّلٌ وفي رأسِها تاجٌ وفي جِيدها سِمط

وقال المنفتل[7] في ذكرِ الوشاح:[الطويل]

كأنَّ الثُريّا ما بَدا مِنْ وِشَاحِها وقد هَمتِ الأردافُ أنْ تَسلُم الخصرا

والضربُ الآخر من الحُلي الذى أكثَر التشبيهات حَولهُ الشعراء[8] هو العِقد والقلائد المصنوعة من الدُرِ واللؤلؤ.

وقد صوَّر لنا ابنُ حمد يس[9] مكانةَ القلائد في عُنقِ الحسنَاء قائلاً:[الطويل]

---

(١) المصدر نفسه : م١ ق٢ ص.١١١

(٢) المصدر نفسه م١ ق٢ ص١٥٨.

(٣) الروض المعطار: ص٣٩٣.

(٤) الذخيرة : م١ جـ٢ ص٣٠٩ -٣١٨ . وانظر النفح : جـ٤ م٢ ص٣٦٩.

(٥) ديوان ابن زيدون : ص١٧ ، كامل وخليفة.

(٦) الوشاح: وهو كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر . تشده المرأة بين عاتقيتها، وكشحها. (المخصص جـ٤ ص٩٨).

(٧) الذخيرة : م٢ ق١ ص٧٦٣. والمغرب في حلى المغرب: جـ٢ ص٣٣٢.

(٨) الروض المعطار: ص٣٤٣ . وانظر ديوان التطيلي: ص٧٢.

(٩) ديوان ابن حمد يس : ص٢٨٢.

إذا أقبلت كانت بتقديمِ خَلْقِها ومشيَتُها بالشّمس[1] تستوقفُ الشمسا

ويبدو أن العقدَ يزدادُ ثمَنُه إذا لَبستَهُ الحسناءُ . كما قيل (وفي عُنُقِ الحسناءِ يُستَحسَنُ العِقْدُ) [2] أو قول إبن سعيد (تَخلّي العقدُ عن عُنُقِ الحسناء)[3] . إذا عَطِلت عنه.

ومن تشبيهات العقد المصنوع من الجمان قول ابن زيدون[4]:[الطويل]

وتُذكِرُني العِقدَ المرِنَّ جُمانُهُ مُرِنّاتُ وَرقٍ في ذُرا الأيكِ تهتِفُ

والعقود قد تكون ضيقة ، تحيط بالرقبة وتسمي (بالمخَانِق)[5]، وإليه أشارَ أبو الحصن الأشبيلي[6]:[الطوّيل]

ومشتاقةٍ عـذراءَ شُـدَّ خناقُهـا ولم أرَ عذراً مثلها كيف تخنقُ

عليها من إسم المُلكِ عِقدٌ مـنظّمٌ ومن خاتِمِ الملْكِ اليمانيِّ بُخنُـقُ

وربما تزينت المرأة بـــ(السـخاب).. فقـد أشـار إليهـا ابـن زيـدون[7] بقوله:[الطويل]

---

(١) الشمس : ضرب من القلائد.

(٢) الذخيرة : م١ ق٣ ص٣٩٦.

(٣) المغرب في حلي المغرب: جـ٢ ص٣٩٦.

* المنفتل : أبو أحمد عبد العزيز بن خيّرة القرطبي. المشتهرة معرفته بالمنفتل. وهو علم مـن أعلام شعراء البيرة في مدة ملوك الطوائف. ومن شعراء الذخيرة انظر المصدر نفسـه : م٢ ق١ ص٧٥٤.

(٤) ديوان ابن زيدون: ص٢٦. كامل وخليفة وورد فيهة: وتذكرني أمـا فـي الـذخيرة: م١ ق١ ص٣٧٦ (ويذكرني).

المرن: اسم فاعل من الأرنان . وهو الصوت الحزين، والجعان: حَبٌّ يتخذُ من صغار اللؤلـؤ، أو من الفضة أمثال اللؤلؤ.

(٥) المرأة في الأدب العباسي: ص٢٦٢.

(٦) الذخيرة : ق٢ م١ ص١٨٠.

(٧) ديوان ابن زيدون : ص٣٨٦.

وأنجدني علمٌ توالت فُنُونُهُ كما يتوالى في النِّظام سِخَابُ

والسِخابُ : قِلادةٌ من سُكٍّ[1] وقُرُنفل ومَحلب بلا جوهر. ومثلما عَرَفتْ السِخابَ لبستْ التعاويذَ والتمائم. (وكان يُحمَلُ لِدفعِ مَكروهٍ أو كَسبِ مرغوبٍ أو استجلابِ خَيرٍ)[2]. قال ابن زيدون:[البسيط]

غَرِيرةٌ – لم تُفارقْها تَمائمُها تَسبِي العُقولَ بساجي الطرف وسنانِ[3]

ولم تَقتَصرِ الحسناءُ على لبسِ الأقراطِ بل لَبِستْ المشنوفَ أيضاً، وإليها أشار الشاعر[4]: [المتقارب]

وَخفٌّ بقَلبي فيه الهوى ولاَعَب، قُرطانَة، شِنْفُه

ولاحظنا أن معيار جمال الساقِ يتوقفُ على خُرسِ خُلخالِه حيث (أن حلْيةَ الذراعِ والساقِ توصفُ بالصمتِ) [5] . وقد سَعُدَتْ الأندلسية بلبسهِ وإليه أشار ابن عمار[6]:[الوافر]

تشير إليَّ قرطاه وتصغي خلاخلُهُ إلى نغمِ الوشاحِ

ومثله قول عبادة بن [7] ماء السماء المتوفى (٤٢٢هـ):[المنسرح]

وليلةٍ للسرورِ كان لَها بِحسنِ ساقٍ كحسنِ خلخالِ

ومثلّه قولُ الآخر[8]:[الطويل]

---

(١) السُكُّ : "مادة من الطيب تطبخ مع المسك وتجفف في هيئة حبوب تثقب وتتخذ منها القلائد، وهي طيبة الريح وكلما قدمَ عهدها زادت طيباً" . انظر هامش المصدر السابق.

(٢) على الهاشمي: المرأة في الشعر الجاهلي: ص٨٣.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص٢٦٧ تحقيق كامل كيلاني. ومحمود خليفة.

(٤) كرم البستاني : شعر ابن خفاجة : ص٩٦.
الشنف : ما علق في أعلى الأذن من الحلي. انظر المخصص جـ١ من السفر الأول ص٤٣.

(٥) ديوان ابن خفاجة: ص١٦٧. مصطفى غازي.

(٦) الضبي: بغية الملتمس: ص١٠٢ -١٠٣.

(٧) الذخيرة : ق١ م١ ص٤٦٩.

(٨) المصدر نفسه : ق٢ م١ ص٥٤٩.

وكيفَ استطعتِ السيرَ حجلُك مفعَمٌ

ورد فُكِ رجراجٌ وحليُك قادحْ

وقد لَبستْ الحسناءُ الدمالَج والأساورَ وفيها يقول ابنُ خفاجة[1]:[الطويل]

إذا شئت غنّاني وشاحٌ وحليَةٌ

لحسناءَ ، غصّتْ دُملُجاً وسوارا

ووجدنا من بين الشعراء مَنْ ذَمَّ حاليةً عاطلة الخُلق[2]:[المنسرح]

ألا بَكى الدر فـوقَ حاليـةٍ حلّى بها العقد شرَّ ما حلّـى

ترى بها ما يَمُرُّ من خلّـقٍ مُخبّأً تحـتَ منظـرٍ يَحلـى

قد راقَ مرآى وساءَ مختبراً فهل تَرى ازهدت بها دُفلـى

وهكذا وجدنا الأندلسيةَ تقلدتْ وعرفَت صنوفاً مختلفة من الحلي والجـواهر. إلاّ أنّ الأخلاقَ تبقى أنفسَ حليةً للمرأة.

(٤) الكحل :-

حرصَت الأندلسيةُ على جمالِ عينيها . لِما لهما من تأثيرٍ فَاعـل فـي قلـب الرجل، ولمّا كان التكحل يزيدها سحراً. نراها أتقنـت اسـتعمالَهُ بطريقـةٍ أسـهَدَتْ ناظرها. يقولُ أبو عبد الله بن السراج المالقي[3]:[الخفيف]

كَحلَتْ بالسُهادِ والدُمعِ طرفي يَوم أبْصَرتُها بِطَرفٍ كَحيلِ

ويقول الآخر[4]:[الكامل]

---

(١) شعر ابن خفاجة : ص٧٨.

(٢) ديوان ابن خفاجة: ص٣٣٥.

(٣) المالقي : من أدباء القرن الخامس الهجري ذكره ابن بسام وقال : مُحْسِنٌ في أهـل عصـره، معدود، وشاعر بني حمود. وله فيهم قصائد ، انظر الذخيرة: م٢ ق١ ص٨٧٠ – ٨٧١.

(٤) ديوان ابن حمد يس : انظر ذيل الديوان: ص٥٥٨.

زادَتْ على كَحَلِ العيونِ تَكحلاً ويسمُّ نصلُ السَّهمِ وهو قتولُ

ويبدو أن للكحل فائدة في تقوية البصر يؤكدها إبن حمد يس[1] في قوله:[البسيط]

كَحَلْتُ عيني إذ كَلَّتْ بجوهرةٍ أمّا يَحِدُّ بِكُحلِ الجَوهرِ البَصَرُ؟

لذا رَسَمَتْهُ العروسُ بطريقةٍ يُضربُ بها المثلُ . يقول منذرُ بن يحيى[2] التُجيبي : [المتقارب]

رَمادٌ ونؤديُ كَكُحلِ العروسْ ورسمٌ ، كجسمٍ براهُ الهوى

واستَعملتُه عِندَ زفافها[3].. فَظَهرَت عيونُها أشبه بعيون المها.. وكما ورد على لسان ابن حمد يس قوله[4]:[الكامل]

في خَلْقِها الأنسيُّ من وَحشيّةٍ كحلُ وحُسنُ تَلفّتٍ ونِفارِ

أو قول السُّمَيْسر[5]:[البسيط]

وكُحلُ عيني سِحرُ للنهى وكذا والسحرُ أحسَنُ ما يُعْزى إلى الحَدَقِ

وقد وردت تشبيهات كثيرة حول الكحل يقول التطيلي[6]: [السريع]

---

(١) المصدر نفسه : ص٢٠٣.

(٢) الذخيرة : م٢ ق٢ ص٧٨٨. منذرين يحيى التجيبي صاحب سُرقسطة المتوفى سنة ٤٣٠هـ.

(٣) انظر المغرب من حلي المغرب: جـ٢ ص١٧٢.

(٤) ديوان بن حمد يس : ص٢٥٨ -٢٥٩.

(٥) النفح : جـ٤ م٢ ص٢٧٠. والسّميسر : أبو القاسم خلف بن فرج الألبيري المعروف بلقبه السّميسر بقي بالمرية إلى ما بعد وفاة المتعصم بن صمادح سنة(٤٨٤هـ). انظر الذخيرة: ق١ م٢ ص٨٨٢ – ٨٨٤.

لقد ورد البيت في النفح جـ٤ م٢ ص٢١٢ لأبي أيوب سليمان بن بطال البطليوسي.

(٦) ديوان الأعمى التطيلي : ص١٣٦.

وســـنانُ ناهيـــكَ بأجفانـــه على الهوى من شاهديْ عدلِ
سالت على ألحاظـــهِ كُحلَـــةٌ واخجلتي من خجلـــةِ الكُحـــل

ومثله قول الشاعر الحكيم أُمية بن عبد العزيز[1]:[الكامل]

لا تسألَنّي عن صـــنيع جُفونِهـــا يومَ الوداعِ وســـلْ مـــنْ نجـــا
وبثّتْ في الظلماءِ كُحل جفونِها وعقَدَتْ هاتيكَ الذوائبَ بالدُجا

وأستعملت المرأة الأندلسيةُ الكحلَ بألوانهِ المختلفة. فالكحل الأسود كما ذكـــر الحميدي (مكانةُ بالأندلس بالقرب من وادي آش وبها جبل يعـــرف بجبـــل الكحـــل لا يزال ينثر منه كحل أسود يزيد بزيادة القمر وينقص بنقصانه لم يزل على ذلـــك مـــن قديم الدهر) [2].

وربما استعملت الكحل الأزرق[3]. وفيه قال ابن حمد يس:[المتقارب]

بأزرقَ في أسمرٍلم يَزَلْ دمُ الذِّمرِ كالكُحلِ في زرقته

وقد ذكرَ الحُصري[4] إستعمال المرأة للأثمد قائلاً:[مجزوء الكامل]

يا مَنْ تُكَحِّلُ طَرَفَها بالسّحرِ لا بالأثمدِ

---

(١) ديوان الحكيم : ص٧٠.

(٢) الروض المعطار في خبر الأقطار : ص١١٣.

(٣) ديوان ابن حمد يس : ص٧١.

(٤) الذخيرة: م١ ق٤ ص٢٥٩.

أبو الحسن عليٌّ بن عبد الغنيّ القيرواني الضريرُ الحُصريُّ : ولد في القيروان سنة ٤٢٠هـــ. قال الشعر بعد أن تجاوزَ الخامسةَ والعشرين وبعد هجوم العرب على القيروان، إنتقـــل إلـــى سبته سنة ٤٤٩ هـــ فاستدعاه المعتمد بن عباد وانتقل إلى الأندلس ٤٦٢هـــ وتوفى فيها ســـنة ٤٨٨. انظر المصدر السابق.

وربما طُلِيَتْ جُفونَها بالكُحلِ[1] . بطريقةٍ تُشبه (الشدوَ) بالوقت الحاضر. قد يسبب الكحل مَرضاً للعيونِ إذا أُسيءَ استعماله. ويُؤكد هذهِ الحقيقةِ العلميةِ الشاعرُ التطيليُ بقوله[2]: [الطويل]

وَيَا كُحْلَ أجْفاني وإن غَلبَ الكَرَى عَلَيْها، وقد تَقْذَى الجُفُونُ من الكُحلِ

وقد فضل بعض الشعراء الكحل الرباني الطبيعي على التكحل كقول القائل[3]:[الطويل]

وأعشقُ كحلاءَ المدامعِ خِلقَةً لئلاّ تُرى في عينها منّةُ الكُحلِ

(٥) الخـــــال :-

أو النشاقة[4]، تَنْبُتُ في أيِّ بُقعةٍ من وجهِ الغَيداء أو تُوضعُ اصطناعاً نقطةُ أو نقطتان أو نُقاط[5] . بألوانٍ مختلفةٍ ومَوادٍ متنوعة. أشهرُها المسك[6]. لكثرةِ ما تَرَدَدَ في وصفهم وغزَلهم وللخالِ مكانةٌ سواء أكانَ على خَدِ إمرأة أو غلام[7]. وقد شَغَفَ أبو بكر الداني بخالٍ على خَدٍّ فزادهُ حُسناً. وازداد[8]. الناظرُ شَغَفاً. [البسيط]

بَدا علـى خَـدّهِ خـالٌ يُزَيِّنـهُ فَزَاد لي شَغَفاً فيـهِ إلـى شَـغَفِ
كأنَّ حَبةَ قلبـي حِـينَ رؤيتِـهِ طارَتْ فقالَ لها في الخَدِّ منه قِفِيْ

---

(١) النفح : جـ٤ م٢ ص١١٥.
(٢) ديوان التطيلي : ص١٢٣.
(٣) الذخيرة : ق١ م١ ص٣٥٣ -٣٥٤ وفي المعنى نفسه انظر المصدر نفسه: م٢ ق٢ ص٨.
(٤) المطرب من أشعار المغرب : ص١٨٣.
(٥) التزيق والحلي عند المرأة : ص٢٦، ٢٨.
(٦) الذخيرة : م١ ق٣ ص٨٢٣ وانظر المصدر نفسه : م٢ ق٣ ص٦٢٢.
(٧) النفح : جـ٤ م٢ ص١٩٢.
(٨) المغرب : جـ٢ ص٤١٠.

وقد تَبوأ الخالُ مكانةً رفيعةً في أوصاف الجمال. فقيل فيه[1]: [الطويل]

وَحَسْبُ اللّيالي أنها في زَمانهِ بمَنْزلةِ الخِيلانِ في صفْحَةِ الخَدّ

وقيل أيضاً: [المتقارب]

أمِسْكٌ بصَدْغِكَ أمْ شامَةٌ غَفَلْنَا عن الأمرِ حَتّى التبس[2]

وَرُسِمَتْ صُورة في أشعارِهم بطَرِيقةٍ تَبْعَثُ على الإعجاب بِه ، من ذلك قول الرّمادى[3]:[الرمل]

وَسَوَادٌ في بَياضٍ قد حَكىَ سُودَ خيلانٍ بَوجْهٍ ذي نَعَجْ[4]

وقوله[5]:[الخفيف]

صارَ فيها الخِيلانُ في الورد شِبها للغوالي في أحْمَرِ التُّفاحِ

وقد كنيت المرأة الحسناء به فقيل: ذاتُ الخال ، قال التطيلي[6]:[الكامل]

يا وَصْلَ ذاتِ الخالِ هل من مُرجِعٍ هيهاتَ ليسَ لما تولّى مُرْجِعُ

وتفنن الشعراءُ في تشبيهِ الخال أو التشبيهِ بِه . قال ابن خفاجة[7]:[الطويل]

وَوَجْهٌ تَخَالُ الخالَ في صَحنِ خَدّهِ فُتاتةَ مسكٍ فوقَ جذوةِ نارِهِ

ومن جميل التشبيه به قول الشاعر[8]:[الكامل]

غازلتُهُ والأقحوانةُ مبسَمٌ والآسُ صُدْغٌ والبنفسجُ خالُ

---

(١) شعر ابن اللبانة : ص٣٥.
(٢) الذخيرة: م١ ق٣ ص٨٢٣. للأعمى التطيلي.
(٣) شعر الرمادي : ص٥٨.
(٤) النعج: الأبيضاض الخالص. انظرّ هامش المصدر السابق.
(٥) المصدر نفسه : ص٦١.
(٦) ديوان التطيلي: ص٧٨.
(٧) الذخيرة : م٢ ق٣ ص٦٢٢.
(٨) الذخيرة م٢ ق٣ ص٦٦٢.

وجاء قول ابن اللّبانة[1] في تشبيه الزبيب الأسود بالخال:[البسيط]

أُهْدِيَتَ لي مِنْ بَناتِ الكَرمِ فاكِهـةٌ كَأَنَّ طِيبَ اللَّمى من طِيبِها شَرَقا
حَبٌّ أتتني به حَبَّ القلوبِ وخيـ لانَ الخدودِ وأحداق المها نَسَقا

وقول المنفتل[2]:[الكامل]

وكأنما الخيلانُ في وجناتِه . ساعاتُ هَجرٍ في زَمانِ وَصال

وقد شَبَهَ الأسعدُ[3] بن بُلَيْطَةَ المتوفى سنة (٤٤٠هـ) خالاً أسودَ لجاريةٍ غُلاميّة فوَقَعَ على صَدْغِها كأنهُ نُقطةَ النُون. [الطويل]

توهَّمَ عَطفَ الصُدغ نوناً بخدِّها فباتتْ بمسكِ الخالِ تُنقطهُ نُقطاً
غُلاميةٌ جاءتَ وقَدْ جَعَلَ الدُّجى لِخَاتَمٍ فيهَا فَصٌّ غَالِيةٍ خُطّا

وفي الخالين يقول الرّمادي[4]:[الرمل]

مُعجم الحُسنِ بخالين: علي ثغرِهِ الأصغرِ والخدِ الأجلْ
فالذي في الخَدِّ طوراً آفلٌ تحت صُدْغٍ فوق صُبحٍ قد رَحَلْ

وتبدو النُقط التي تُوضع على الوَجه إنتقلتْ إلى الجيدِ على شَكلِ نقاطٍ أو كتابات لزيادةِ الزينةِ والتأنقِ يقولُ الرّمادي[5]:[الوافر]

---

(١) شعر ابن اللّبانة : ص٦٩.
(٢) المغرب في حلي المغرب: جـ٢ ص٩٩.
المنفتل: أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة من اعلام الشعراء في مدة ملوك الطوائف. انظر الذخيرة: م٢ ق١ ص٧٥٤.
(٣) تاريخ الأدب العربي/ الأدب في المغرب والأندلس : جـ٤ ص٤٩٢.
* ابن بليطة: أبو القاسم الأسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة شاعر مجيد تردد على ملوك الوائف ونال جوائزهم وتوفي (٤٤٠هـ) . انظر العماد الأصبهاني: فريدة القصر: جـ٢ ص٦٧٦.
(٤) شعر يوسف بن هارون: ص٩٧.
(٥) شعر يوسب بن هارون : ص٦٥.

كأنَ الكُتبَ أجيادُ الغـوالي تبَدّتْ من سُطورٍ في عُقُودِ
كأنَ سُطورها جزَع[1] بهيمٌ بدَتْ فيهِ معانٍ من فَريدِ[2]

وعلى رأي ابن حزم أن أحسنَ من وُصِفَ الخال قولهم[3]: [الوافر]

ألوّامي علـى كلـفٍ بيحـي متى من حبـهِ ألقـى سَـراحاً
وبين الخـدّ والشـفتين خـالٌ كزنجيٌ أتى روضـاً صـباحاً
تَحَيَّر في جناه فلـيس يـدري أيجلي الورد أم يجني الأقاحـا

وكانت تُزَينُ الشَفةُ بالحُمرةِ. ويُحَدَّدُ شاربٌ. ويُخَـطُّ بـالألوان المُخْتَلِفَـةِ أو بالمسك. وربما اقتصـرت هـذه الزينـة علـى الجـواري الغلاميـات مـن ذلـك قولهم[4]:[الطويل]

فأيديتُ وَجهاً تحتَ تَرجيلِ لمـة فكان كَبَدرٍ تَحْتَ ليـلٍ مُرَجَّـلِ[5]
وَمَثَّلـهُ بالبَـدرِ أيضـاً حَقيقَـةٌ بغاليـةِ صـرفٍ أَدَقُّ مُمَثَّـلِ
عَذارانِ خُطاً فوقَ وَجهكَ زينـةٌ عليـهِ وحَبـاً للعَـذارِ المُعَجِّـلِ
وقد طُرَّ منها شاربٌ فوق مبسمٍ كغُصنٍ عقيـقٍ بـاللآلي مُكَلَّـلِ

وكان يُستَعْملُ قشور أَصلُ الجَوز، لصبغِ شفاهِ خُراجيات الخانات[6].

ومن وسائلَ تجميل المرأةِ نَتْفُ الشعَرِ من الوجه واستعمال المساحيق، ودهن الشعر، وطلي الوجه ودهنه. يقول ابن شهيد[7]:[البسيط]

---

(١) الجزع: هو الخرز. والبهيم: الأسود.
(٢) الفريد : العقد.
(٣) فضائل الأندلس وأهلها: ص٤٤.
(٤) شعر الرمادي : ص١٠٧ -١٠٨ ، وانظر التشبيهات : ص١٢٨.
(٥) الشعر المرجل: المشرح الكثير الأدهان.
(٦) الذخيرة: م١ ق١ ص٢٤٢.
(٧) المصدر نفسه: م١ ق١ ص٢٦٠.

يعتادُهُ كلُّ محفوفٍ مفارقُهُ من الدِهانِ عليهِ سَحقُ أمساخ

وهكذا وجدنا المرأةَ مهتمةً بنفسها مكملةً جمالها بتزينها وزينتها.

(٦) الخضـــــاب :-

لما كان الشيبُ مُعيباً[١]. وعلامةً من علاماتِ فقدَ الشبابِ[٢]. لذا كَرِهَتْهُ المرأة [٣]. وكَرِهَهُ الرجل. فاستعملوا الخضابَ لصبغهِ وتَغطيتهِ[٤].

ورُويَّ عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الخضاب. كما رُويَ عن معاوية (له خاضبة تُخَضِّبهُ بالسوادِ) .. ولما فَرغَت مرة من خضابهِ أنشَدَتْه[٥]:[البسيط]

هل عِندكَ اليومَ شكرٌ للتي جَعَلَتْ ما ابيضَّ من قادِ ماتِ الرأسِ كالحِمَمِ

واستخدَم الشعراءُ الخضابَ[٦]. حيث ذكر عن أبي المطَّرفَ المتوفي سنة (٤٨٠هـ) أنه كان يعاني الخضاب ويتّابر عليه. فقال بعضهم وكان حاضِراً في مجلس المعتمد:[المتقارب]

خَضابُ[٧] لَعمركَ لا للنساءِ ولكنَّهُ لفحولِ الرِجالِ

فخاطَبَهُ بشعر قال فيهِ:[المتقارب]

---

(١) الأذكياء : ص٢٣٠.

(٢) الذخيرة: م١ ق٣ ص٢٥٢.

(٣) ديوان التطيلي: ص٨.

(٤) الذخيرة : م١ ق١ ص٢٤٢.

(٥) المصدر نفسه: م٢ ق٣ ص٧٧٥. وانظر الذخيرة : م١ ق٣ ص٣٨٩.

(٦) النفح : جـ٣ ص٢٥.

(٧) الذخيرة: م١ ق٣ ص٢٥٢.

ابن الدّباغ: هو أبو المطرّف عبدُ الرحمن بن فاخِر من سُرقُسطة. كان ابنُ الدباغ أديباً ناثراً شاعراً كاتباً.

يُهانُ بمحضِ عزيزُ الرجالِ ويُعزى اليهم قبيحُ الفعال

ولعلّ الرجلَ (يتحبب إلى الغواني بالمشيب الخضيب) [1] وقد عللت بعض الباحثات حب المُسلم للخضابِ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف (عَليكُمُ بالخضابِ فإنه أهيبُ لعدوكم وأعجبُ لنسائكم) [2]. ويرى بعضهم الآخر أن الخضاب (مخادعة للنفس) [3].

لكننا نَجد الخضابَ والكحلَ منذُ القِدَمِ، علامةً من علاماتِ الراحةِ والفَرحِ. ورُبما الشماتَة. فقد ذكر إبن عبد ربه (لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم شَمُتَتْ به نساءُ كِندةَ وحضرموت، وخَضبْنَ أَيْدِيَهن وأظهَرْنَ السرورَ لموتِه، وضَربْنَ بالدفوفِ) [4] . ولقد خَضَبوا الرّايات بالحنّاءِ إستبشاراً بالنصرِ يقول ابن خفاجة[5]:[الطويل]

كأنَّ لِسانَ البرقِ منه عشيةً لواءٌ خضيبٌ أو رداءٌ مذهبُ

ويبدو الخضاب عند المرأة الأندلسية علامة من علامات الفرح أيضاً لذا وجدناها تعزف عنه أثناء حزنها [6]. وقد وردت إشاراتُ كثيرةٌ في شعر ملوكِ الطوائفِ تَذكرُ الخضابَ بألوانه المختلفة كالأسَود[7]. يقول أبو الحسن الحصري (ت٤٨٨هـ) .. في صبغ اليد البيضاء بالخضابِ الأسود:[الكامل]

---

(١) فضائل الأندلس وأهلها: ص٣٠.

(٢) الدكتورة بتول العلاف: عناية المرأة بشعرها عبر العصور، بحث في مجلة الأديبة : ص٩٤ عدد ٢ سنة ١٩٦٩.

(٣) صيد الخاطر: ـ٢ ص٣٤٠.

(٤) بهجة المجالس وأنس المجالس: جـ١ ص٧٤٣.

(٥) الذخيرة : م٢ ق٣ ص٦٣٦.

(٦) النفح : جـ٦ م٣ ص٣٧.

(٧) الذخيرة : م١ ق٢ ص٢٢٩.

خضبت يديها لونَ فاحمها فما نقصَ البياضُ مَلاحةً بـل زادا
ما بالُ شيبي تتكرينَ خضابَهُ وأراك صابغة البياضِ سـوادا
قالت فجيعتك في يدَيَّ وإنمّـا بدّلتُـه أسـفاً عليـك حِـدادا

ويقول ابن حمد يس[1] في الحناء:[المربع]

تُسَـوّد الحنّـاء فـي كفّهـا عِشـقاً لمسـوّد عِـذار الشّـبابْ
كفٌ من الكافور – هذي التي أرى من المسكِ عليهـا خِضـابْ

وفي صُبْغِها الأحمر يقول ابن زيدون[2]:[الطويل]

له مَبْسَمٌ عَذْبٌ . وخَدٌّ مُوَرَّدُ وكفّ ، بحنّا المُدام ، تَقَنَأُ

ومثلما خضبن بِنّهانَهن، خضبن معاصمهن، وسوقهن، وربما خضبن شفاهن، لتكتسـب اللـون الأحمـر . كمـا اسـتعملن قشـور الجـوز لصـبغها[3]. يقـول التطيلي[4]:[المتقارب]

كسا سُوقَهَا ومناقيرها وأعينها عنْدماً أورِقانا[5]

وقال ابن خفاجة[6]:[الطويل]

جرى الحُسـنُ ماعُفوقَـهُ غيـر أنَّـهُ إذا ما جرى نارُ الغضـا مُتضـرّما
وأقصى مُنى الكفِّ الخضيبِ لو أننـي وَصَلْتُ بها ذاكَ المُهنّـد مِعْصَـما

ومن التشبيهاتِ الجميلةِ لصبغ الشفاةِ بالخِضابِ الأحمر قوله[7]:[الكامل]

---

(١) ديوان ابن حمد يس : ص٩.
(٢) ديوان ابن زيدون: ص٤٦ ، وانظر ص٥٤. تحقيق نديم مرعشلي.
(٣) الذخيرة: م١ ق١ ص٢٤٢.
(٤) ديوان التطيلي: ص١٩٠.
(٥) الرقان: اسم من أسماء الحناء.
(٦) الذخيرة : م٢ ق٣ ص٥٦٢.
(٧) النفح : جـ٢ م١ ص٢٠٢.

من كلِّ قاصرة الخطا مختالة مشيَ الفتاةِ تَجرُّ فَضْـلَ إزار
مخضوبةِ المِنقارِ تحسَبُ أنها كرعتْ على ظمأ بكأس عُقار

وأصباغُ الأظافرِ تبدو شائعةً ومستعملةً عِندَهنَّ ، وقد أشارَ إليها ابن خفاجـة قائلاً[1]:[الكامل]

يُرمى بهِ الأملُ القصيُّ فينثني مَخضُوبَ راءِ الظُّفرِ والمنقارِ

وكانت تَخضُبُ العجائزُ بالحناءِ [2] . كما تُخَضبُ العرائس[3] ومثلما استعملَتْهُ الحرّةُ استعملته الجارية. وقد صوّر الرمادي خِضابَ جاريةٍ مغنيةٍ قائلاً[4]:[المتقارب]

وأوتارُ مخضُوبِ البنانِ كأنّها حَمامٌ وصبري حينَ طَلَّ هَديلُهُ

(٧) الطيـــب :-

أصولُ الطيبِ خمسة أصناف : المسكُ والكافُور والعودُ، فـي أرض الهنـد، والعَنبرُ والزعفران في الأندلس[5]. وعرفَ عندهم المحلبَ. والوردَ الزكـيَّ العَطِـر، والسنبلُ الروحي. وعُرِفَتْ الأندلسُ بِبَلدِ العَنْبَرِ[6] . ويُسَقَّرُ براً وبحراً ويُعَدُّ من مفاخرِ أهلها[7].

وأحبَ العربُ الطيبَ وقد جاءَ عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (خَيْرُ طيبِ الرجال ما ظَهرَ ريحُهُ وخَفَي لُونُهُ، وخيرُ طيبِ النساءِ ما أُظهرَ لُونُـه وخَفـي رِيحُهُ) [8].. وقد قالت الحكماءَ: (من طَابَ رِيحُهُ زادَ عَقْلُهُ) [9].

---

(١) ديوان ابن خفاجة: ص٣٥.
(٢) نفح الطب : جـ٤ م٢ ص٣٨٣.
(٣) الذخيرة : م٢ ق٣ ص٥٧٢ (شعر ابن خفاجة).
(٤) شعر الرّمادي: ص١٠٤ – قطعة ٩٥.
(٥) الروض المعطار: ص٢٣٢- وانظر المصدر نفسه: ص٣٤٩.
(٦) المصدر نفسه: ص٢٤.
(٧) فضائل الأندلس وأهلها: ص٥٥ – ٥٦.
(٨) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : جـ٢ ص٢٧٢ وانظر صيد الخاطر: جـ١ ص٣٦.
(٩) صيد الخاطر: ج٢ ص٣٤٢.

وترى إبنَ زيدونَ قد أكدَ قولهُمُ حين قال[1]:[الكامل]

عِطْرٌ هو المِسكُ التّسَطوعُ يَطيبُ في ... شمِّ العقولِ أريجُهُ المُتنَسِّمُ

لذا وجدنا الملوك قد بالغوا في استعمالِ الطيب زيادة في التنعم والترف فكانوا يكثرون (من ذَرِّ الطيب في قصورهم حتى يَطوؤُوه بأقدامهم)[2] .

أما النساءُ فقد تَوافدَن على بابِ العطارَين وكان ملتقاهُنَّ هناك (لأنه كان موضعاً لبيعِ العُطورِ وأدوات الزينة)[3]. لما عُرِف عنهنَّ من الإهتمام بمكملات زينتهن. فقد تَطَيبْنَ بالمسك والكافورِ[4] وتبخرنَ بالنّدِ[5]. وتعطرنَ بماءِ الورد[6]. وتَضوعنَ بريّا القُرنفلِ[7] والعنبر والزعفران والعودُ (المرتُك)[8] و(الأَلوَّة)[9]، وقد وردت إشارات في الشعر تؤكد إستعمال المرأة له، بأنواعه المختلفة، ولكننا نجدُ المسكَ أكثرَ العطورِ استعمالاً على الرغم من إرتفاع ثمنهُ فيدلُ على أنها مُنعمَة، ولم تَبْخل على إكمالِ زينتها. يقول ابن حصن الإشبيلي[10]:[الخفيف]

بَكرَت سُحرَةً قُبيلَ الذهابِ ... تنفضُ المسكَ عن جناحِ التُرابِ

---

(١) ديوانِ ابن زيدون: ص٢٨ . تحقيق نديم مرعشلي .
أصلُ العنبرِ : عيونٌ تنبعُ في قعرِ البحرِ يَصيرُ منها ما تَبلعهُ الدواب وتَقذفهُ.
قال الحجاري: ومنهم من قال انه نباتٌ في قعر البحر.

(٢) النفح: جـ٦ م٣ ص٩.

(٣) طوق الحمامة: ص٥٣.

(٤) الذخيرة: م١ ق١ ص١٤٨.

(٥) المصدر نفسه: ق٤ م١ ص٨٥-٩٥.

(٦) النفح : جـ ٤م ٢ ص٢١٨.

(٧) المصدرنفسه: جـ٣ م٢ ص٤٣٧.

(٨) النفح: جـ٤ م٢ ص١٢٣.

(٩) ديوان ابن زيدون: ص٣٥٤. تحقيق علي عبد العظيم.

(١٠) الذخيرة: م١ ق٢ ص١٥٨.

وفي المُبالغة في استعماله يقول إبن شُهيد[1]:[المتقارب]

فوَلّتْ وللمسكِ في ذَيلِها ... على الأرضِ خَطٌّ كظَهرِ الشجاعِ

وقول التطيلي[2] مشيراً إلى تأثير المسك:[البسيط]

أُلهوُ بمسكٍ شَذاها لا أحاولُ ما ... وراءَ ذاكَ ولو حاولتُ لم أُطِقِ

فبتُّ أحسبُ أني قد طرقتُ بهـا ... رَوْضاً شَممتُ به حُلياً ولم أَذقِ

وقول ابن حمد يس[3] في ذَرِّ المسكِ على التَرائب:[الكامل]

قَرَنوا بوردِ الخدِّ عقْربَ صُدْغِه ... وَرّوا تُرابَ المسكِ فـوقَ تَربيـهِ

والعينُ حَيرى من تَـألّقِ نُـورِهِ ... والنفسُ سَكرى من تَضوّعِ طيبِـهِ

وكان يُنْقَش بالمسكِ على الخُدودِ[4]. وقد يُمْزَجُ المسكُ مع النَّد ويُعَطَّر به الفَم[5].

وأشارَ ابن خَفاجة[6] إلى تَطْيِيبِ الشَعرِ بالمسكِ قائلاً:[مجزوء الكامل المرفل]

يَغدُو وكافورُ الجبينِ نَدٍ ... ومِسكُ الشَـعرِ اسـحم

(وقد دَخَلَ الوزيرُ أبو الفضلِ محمد بن عبد الواحد (المتوفى سنة ٤٥٥هـ) على قَينَةٍ وهي تَتَبَخَّرُ بالنَدِّ ، ودُخانُهُ قد علا وَجهَهَا فقال)[7]:[الطويل]

ومَحطوطةِ المتْنَين مَهضُومةِ الحَشَـا ... مُنَعَّمَـةِ الأردانِ تُـدمى مـن اللمـس

إذا ما دُخانُ النَدِّ مـن جَيبِهـا عـلا ... على وجهِها أبصرْتَ غيماً علـى الشـمس

وفي استعمال المرأة للعنبر والعبير يقول أبو محمد[8] بـن قلبيـل البجـاني: [الكامل]

---

(١) المصدر نفسه: م١ ق١ ص٢٦٤.

(٢) ديوان التطيلي: ص٨٨.

(٣) ديوان ابن حمد يس : ص١٠.

(٤) النفح : جـ٤ م٢ ص١٨٠.

(٥) أزهار الرياض: جـ٣ ص١٧٧.

(٦) الذخيرة : م٢ ق٢ ص٥٧٩.

(٧) المصدر نفسه : ق٤ م١ ص٨٥ و٩٥ وانظر النفح جـ٤ م٢ ص١١٠.

(٨) المغرب في حلي المغرب: جـ٢ ص١٩١. البجاني: ترجم له الحميدي في الجذوة أنه من شعراء المائة الخامسة.

وكأنَ عُرفَ نسيمِها عند الصبا عَرْفُ العبيرِ يَفوحُ منه العنبـرُ

وفي تفضيل النَدِّ على سائرِ العطور يقول ابن الأبّار[1] (ت ٤٣٣هـ): [مخلع البسيط]

لو كُنتَ حلياً لكنتَ عقدا أو كنتَ طيباً لكنت ندا

ومثله قول الألبيري[2] (ت٤٦٠هـ) في ريّا القرنفل:[البسيط]

ريّا القُرنفلِ في ريحِ الصَّبا سِحراً يَضوعُ منها إذا نَحوى قد ألتفتت

وربما عَرفتْ المرأةُ الصندلَ وتَطَيبت بهِ وقد وَرد ذكرهُ عند ابن خفاجة[3]:[الكامل]

وَجَنَيْتُ روضاً، في قِناعِك، أزهرا وقَضيبُ بانٍ، في وشاحكِ، أثمرا

ثم أنثنيت، وقد لبستِ مُصَندَلاً وطويت، من خلع الظلام، معنبرا

وقد عَرفتْ ضرباً آخرَ عن الطيب وهو (الأُلُوَّة) ويبدو أنها تبخرت به، وإليه أشار ابن زيدون[4]:[الطويل]

إذَا استَحفظَتْ سِرَّ السُّرى جُنْح لَيْلِها تَنَاثَى النَّمُومانِ: الأُلُوَّةُ، والنَّدُّ[5]

وهكذا عرفت المرأة الأندلسية كلَّ تلك الأنواع من الطيب وتزينت بها.

---

(١) الحلة السيراء: رسالة دكتوراه ص٤٤٠. لعبد الله أنيس الطباع.

(٢) النفح: جـ٣ م٢ ص٤٣٧.

(٣) شعر ابن خفاجة: كرم البستاني ص٨٨. المصندل: المطيب بالصندل.

(٤) ديوان ابن زيدون: ص٣٥٤.

(٥) تناثى : تحدّث من نثا الحديثَ أي حدّث به وأشاعه، وتناثوا الحديث تذاكروه، الألُوّة : عودٌ يتبخر به: النَدُّ : ضرب من الطيب، والمعنى : إذا سرت متخفية للقاء تحت أستار الظلام تمَّ عليها عبيرها الطيّب.